# امرأة من بارود

رواية

حسن خلف حسين

بطاقة الكتاب

---

امرأة من بارود

حسن خلف حسين

رواية

رقم الإيداع : ١٦٧٤٠ / ٢٠١٩

الطبعة الأولى

عدد الصفحات : ١٥٠

تاريخ الإصدار: سبتمبر ٢٠١٩

الإخراج الفني والمراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

المدير التنفيذي

لمياء حمدي

شارك في الإعداد الفني

أ / مها عبد الوهاب الجمل

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ، ولا يحق لأى دار نشر طبع و نشر و توزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب و الناشر

دار وادي عبقر

للطباعة و النشر و التوزيع

بيت الإبداع .. و موطن العبقرة

wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook/ wadiabkar

www.youtube.com/ wadiabkr /

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥

ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

ت : ٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

# إهداء

إلى ابنتي الغالية و الطيّبة سارة حسن خلف

الحياة يا حبيبتي تحدّي في العطاء.

وأعلم أن عطاءك بلا حدود.

لذا أحبك بلا حدود.

بابا حسن خلف

وإلى زهرات العمر حفيداتي

نورين و رحمة أحمد حسن خلف

و دانية محمد حسن خلف

لكن و بكن المستقبل، و بسماتكن تضيئ حياتي

جدو حسن خلف حسين

## شكر و تقدير خاص

يتقدم كل من:

المؤلف الأديب/ حسن خلف حسين

و دار وادي عبقر للطباعة والنشر والتوزيع

بكل آيات الشكر و التقدير

للفنانة التشكيلية **الدكتورة رنا فتيت**

على إبداعها الرائع في لوحة الغلاف

مما ترك بصمة فنية مميزة

جسدت مضمون الفكرة بريشتها الرقيقة

كما جسدتها الكلمات

# مقدمة

كل ناع سينعى،
وكل باكٍ سيبكى،
وكل مذكورٍ سينسى،
وكل مذخورٍ سيفنى،
ليس غير الله يبقى،
من علا فالله أعلى ..

حسن خلف حسين

# (١)

قال لها شاردًا بصوتٍ مبعثر:

- تخيلي يا نجوان نفسي أضحك

نظرة طويلة بعينيها البُنيّتين ثم ردت بهدوء:

- نصيحه مني بلاش.

انزعج واندفع يسألها:

- طب ليه؟

ردت بنفس الهدوء.

- هتموت يا فتحي.

- فين المشكلة؟

- تهيؤاتك، إنك لما تموت هتكون مبسوط.

- نهار أزرق، يعني ممكن أكون موكوس دلوقتي وبعدين كمان.

- يا ابني شكلك فقري، اتخلقت عشان الغم، بقي جزء منك، بقي في دمك زي الأكسجين، لو وقف الغم أقصد الأكسجين عن الدم خلاص تبقي باي باي، وقفت حياتك وبقيت جثة.

- تيجي نجرّب؟

نجرّب إيه يا أهطل.

- أجرّب الموت البطئ

- إزاي يعني؟

- أخفف غم، أي حاجة تقابلني تغم وتزود كآبتي، أعمل غبي واشوف هاروح علي فين.

- تجربة حلوة، وأنا هساعدك بس عشان ترتاح وماتفكرش تاني إنك تضحك وتضيع حياتك هدر، وكمان تعرف إن أنا بخاف عليك وعلى حياتك.

فكر سريعًا وأراد تنفيذ التجربة في التو واللحظة فسألها:

- على كده إنتي بتحبيني ؟

- لا طبعًا، العِشرة اللي بيننا بس مخلياني مستمرة معاك وفِي حياتي اللي ملهاش لازمة أصلاً في وجودك.

- الله يا دين النبي ع الرد، أهو مازعلتش خالص ولا اتغميت، يبقى التجربة نجحت.

- لسه قدامك كتير ما تستعجلش زي عوايدكً وتبقي مدب.

- عادي جدًا، هي الساعة كام دلوقتي ؟

- إنت شايف إن الوقت ليه لزمة عندك؟ إنت متهيألي عايش عشانك، وأنا عايزة أعذبك عشان تعيش أكتر، ده سبب إني مش عايزاك تضحك وتموت مبسوط اللحظة، الحقيقة ما تستاهلش اللحظة دي.

- وربنا عندك حق، الوحيدة اللي فاهماني، فعلاً إنتي كميلة.

نظرت إليه باستخفاف :

- كميلة ؟ اسمها جميلة يا خفيف، كميلة دي تقولها لبنتك أو لحفيدتك، اتفقنا إوعى تضحك تموت وكمان تقلل الغم في الدم يعني تجربة الانتحار البطيء وشوف هيحصلك إيه، ده اتفاقنا ما تنساش.

- أبدًا أبدًا أنا فريش أهو وصامد، واللي هايقويني خوفي بعد الموت لما أضحك، وكمان الانتحار البطئ فكرة عجبتني وابقى مسكت العصايا من النص.

حوار قد يكون هزليًا بينهما؛ لكن ما تحويه النفس في كليهما فيه من الوازع بقوة ما أشارت إليه الكلمات معبرة في سذاجتها؛ عن مشوار حياة استمرت أكثر من ثلاثين عامًا دون توقف.

السيدة "نجوان" تتحلّى بجمالٍ هادئ وهذا نتاج موروث عائلي، والزوج الأستاذ "فتحي" قمحي اللون متوسط الطول ممتلئ البنية وهذا أيضًا موروث عائلي، بداية تعارفهما أتت بالمصادفة؛ حيث كان يعمل في أحد محلات الأزياء الراقية، ونجوان كانت عميلة متميزة لدى المحل تتردد عليه دائمًا باحثة بلا كلل؛ عن الجديد في عالم الموضة.

الأستاذ فتحي أو الباشمهندس فتحي كما يحب أن ينادى عليه؛ كان شغله الشاغل كيف يكبر ويصبح ذو شأن وسط صراعات الحياة؛ أوائل ثمانينات القرن العشرين وما شهدته مصر من انفتاح اقتصادي أتى كطاحونة لم ترحم الطبقة المتوسطة وما دونها، طموح الوجاهة والماديات لا حدود لهما، لذا كان يتقرّب دائمًا من أصحاب النفوذ والأعمال ومَن لهم صيت في المدينة التي نشأ ويقيم فيها، كان يعمل أثناء دراسته الجامعية يحدوه الأمل أن يومًا ما سوف يكون

صاحب شأن يقال له"باشا" كما اعتاد أن يقولها عندما يخاطب رجال الأعمال وأصحاب السلطة والنفوذ، وإن كان من داخله يكن لهم أكوامًا من الحقد، وتلالاً من الكراهية.

أما السيدة نجوان فقد كانت فتاة نقية السريرة تحب الحياة والمرح، لا يغيب عنها أبدًا، فقد اكتفت من التعليم بدبلوم التجارة، فالدراسة ليست في اهتمامها فهي معتمدة على حال والدها الميسور الذي يلبي لها احتياجاتها دون إرهاق يذكر في ظل وجود ثلاثة فتيات شقيقات لها يكبرنها، التنافس حد الصراع بين الشقيقات دائم الاشتعال والسبب الأم التى تحترف التفرقة في المعاملة بينهن حتى في توافه الأمور، فلديها مبدأ "فرّق تسُد"، قد يكون هذا ضمن أسباب نجوان الرئيسية في رغبة الرحيل من منزل أبيها لأقرب منزل زوجية، ومع أول حالة حب تلاقيها.

أما الأستاذ فتحي كان له هدف آخر من الزواج أن يلتقي بفتاة تحمل اسم عائلة كبيرة، تعينه على تحقيق طموحه اللامتناهي، وإن صادفه الحب لا مانع، فحبه للمال وسلّم الشهرة أشد وأنكى.

أدواته في تحقيق هذا حلاوة اللسان، والملبس الجذاب مع شهادته الجامعية ظنًا منه أنهم قد يعوضونه عن داخله المهلهل جرّاء حالة الفقر المادي الذي يحياه داخل أسرته البسيطة مع أب داخل المنزل لا حول له ولا قوة؛ مقارنة بأم

متسلطة لكنها تتميز بحبها لأبنائها، تدفعهم دائمًا نحو المعيشة والمستقبل الأفضل، حتى لو على حساب الآخرين.

تردد نجوان على محل الأزياء الذي يعمل فيه فتحي بائعًا، لفت نظر نجوان اهتمامه المبالغ فيه، والذي يأخذ أشكالاً عدة أهمها الترحيب والثناء مع الانبهار بذوقها في الإختيار، وأدى به الأمر إلى اطلاعها على بعض أسرار المحل في مسألة التسعير وموعد وصول موديلات جديدة تروق لها، وعليها انتظار مكالمة منه وقت استلام البضاعة المتميزة، كل هذا لفت نظر فتاة مثل نجوان تفتقر خبرة التعامل مع الناس عامة والشباب خاصة، أما الحب في حياتها هو المجهول بعينه، والمنتظر بما فيه من أمل في حياة مستقلة سعيدة بعيدًا عن منزلهم الذي أصبح شبيه بسجن شديد الحراسة.

حال نجوان برمته جعل منها فرصة يسيرة أمام فتحي لا تحتاج لمجهود سوى مزيدًا من الاهتمام والإعجاب بنظرات لها حلو المعاني؛ تفهمها الفتاة شديدة الذكاء مثل نجوان، وبالنسبة له فهو مؤمن بالنظرية الميكافيلية في الحياة بأن الغاية تبرر الوسيلة، وما عليه سوى إبداء رغبته في نيل شرف التقدم لخطبتها إذا قبلت ظروفه المادية التي قد تكون عائقًا لديه عند أسرتها.

فما علي نجوان إلا دعمه عندها وقت التقدم لطلب يدها خاصة علم منها أنها مدللة بعض الشيء عند أبيها الحنون، رغم صرامته في معاملة الجميع إلا أنه كأي أب لا يتمنى سوى السعادة لأولاده، وأن يراهم جميعًا ينعمون في بيوتهم بالراحة والأمان مع أزواج يحققون لهن حياة مستقرة، هذا خاصة للبنات منهم.

عاونته في القيام من فوق كرسيه المتحرك لإصابته بالشلل النصفي نتيجة جلطة قلبية في نصفه الأيسر، جعلت الحركة لدية في غاية الصعوبة، ليس له سواها للقيام بكل الأدوار بصبر وجلد دونما شكوى، ليس لأنه يستحق كزوج لكن شعورها أنه صعب عليها العيش وحيدة، حتي وإن كان هذا الشريك مجرد صوت يتحدث داخل هذه الشقة الواسعة التي تتكون من أربعة غرف، غرفه للنوم وغرفة للمكتب مع ثلاثة حمامات، الشقة واقعة في حي مصر الجديدة حيث الجمال والمناظر الخلابة قديمًا وحديثًا.

نجحت نجوان في توفير سبل الراحة في إقامة فتحي بحالته المرضية داخل الشقة بعد إصابته، له حمام خاص داخل الغرفه مجهز بما يناسب حالة المعاقين وسريره الحركة فيه بالريموت كنترول و وسائل التسلية حوله يديرها دون أدنى مجهود.

شكر صنيعها على معاونته في الصعود إلي الفراش ليستريح ثم نظر إليها نظرة شفقة وحنان قائلاً:

- كان ممكن أعمل إيه من غيرك في حالتي دي يا نوجة؟

- ربنا موجود أكيد كان يسبب لك أسباب ليأتي من يخدمك ويوفر لك احتياجاتك، إنت بس اللي دايمًا عندك خوف من الحياة وعايز تملكها وخايف تهرب منك.

يمدد رجليه ببطئ ويتنهد تنهيدة طويلة:

- هانام شويّة عشان مابعرفش أنام بالليل ولما أصحى نكمّل موضوع "تفسي أضحك" وقلت لي لوضحكت تموت، كتير باحس إنك جواكي علم باللي جاي وأخاف منك، لو قدرتي توصفي اللي جواكي أكيد هاترتاحي وتريحيني، ساعتها هاتبطلي نظرات عينيكي الغريبة دي اللي مش عارف معناها، هل هي شفقة على حالتي؟!، والا لوم على اللي عملته معاكي السنين اللي فاتت؟!، والا قرفانة مني علي عشرتي؟!، والا كله في بعضه ملخبط جواكي؟!.

تجيبه في هدوء وكأنها تسترجع ذكريات عمرها في لحظة وتقول:

- سيبها لله يا فتحي، ماتشغلش بالك.

- طب إنتي هاتعملي إيه دلوقتي؟

- هادخل أخد شاور عشان أفوق، وبعدين أدخل المطبخ أعمل الغدا على ما تصحى من نومك، نام إنت بس ارتاح.

- ربنا يريح قلبك.

- يا ريت.

دخلت غرفتها مسكت هاتفها المحمول تطلب رقم إبنها الأكبر في أوكرانيا، دق الجرس ولَم يستجب، بل أغلق المكالمة، طلبت ولدها الأوسط المقيم مع شقيقه الأكبر في نفس السكن، وجدت رد فعله كأخيه، حبست كلمات موجعة داخلها فراحت تطلب الصغير من أولادها، المغترب للدراسة أيضا مع أخويه في أوكرانيا بكلية الطب، لكنه يعيش بمفرده رد عليها:

- أيوه مامي، خير؟

- خير؟ اتصلت أطمن عليك.

- كله أوكي مامي؟ وإنتي أوكي؟

- آه فعلاً أوكي.

- بليز مامي عندي شغل، باي وأكلمك بعدين، باي مامي.

أخذت نفسًا طويلاً ثم أخرجته ببطئ شديد مع حسرةٍ ألمت بها فأمسكت برأسها وتحرّكت تائهة نحو الحمام.

استيقظ من قيلولته، فلم يجدها بجواره، فأخذ يصيح مناديًا عليها بصوتٍ عالٍ، أتت إليه مهرولة ومنفعلة:

- إنت مش هاتبطل زعيق ع الفاضية والمليانة، أنا مش قولتلك هاعمل الغدا؟

- آه صحيح، نسيت يللا بقي هاتي الغدا

تتأفف قائلة:

- لسه نص ساعة فيه حاجات في الفرن.

- ما إنتي عارفه ميعاد غدايا عشان العلاج.

- فاكرة وفِي الميعاد تكون اتغديت واخدت الدوا.

- يصير خير.

ترد بسخرية :

- هو أنا شفت الخير إلا معاك.

- طب الحمد لله انك اعترفتي أهو، أصيله يا نجوان، مافيش حد سأل عليا ؟

- آه ابنك فهد الكبير بيسلم عليك بالتليفون، وسأل عن صحتك، قولتله إنك كويس.

يرد فتحي منفعلاً:

- طب ليه بس ماصحتنيش، كان نفسي أكلمه وأقوله حالتي بتتدهور، يمكن يشوف لي علاج فعّال من أوكرانيا، عمومًا بعد الغدا اطلبيه عشان أردش معاه شويه.

لم يعجبها كلامه فقالت:

- يصير خير.

- اتعلمتي مني كلمة "يصير خير" لما أحب أزوّغ من موضوع وأقفل عليه.

- من عاشر القوم بقى، هاروح دلوقتي أجيب الغدا.

أثناء تناول طعامهما، الذي ما أثني عليه برغم أنه يشتهيه ويتناوله بشراهة وأنانية دون النظر كونها تشارك فيه، وقد وضعت مائدة خاصة اشترتها له خصيصًا لتكون الطاولة أمامه وهو جالس نصف جلسة علي سريره مما يصعب عليها تناول الطعام إلا وقوفًا:

أخذ يحدثها :

- كمليلي بقى موضوع "بلاش تضحك أحسن تموت" عاجبني قوي فلسفتك فيه، بالراحة بقي عشان أفهم خاصة إحنا عملنا تجربة ونجحت فيها إني ما أضحكش وكمان ما أزعلش، فرصة وإحنا قاعدين والقعدة مملة أهو نتسلّى.

- أنا ما احبش التسلية، مافيش حاجة لا تسليني ولا تحليني.

- عايزة إيه يعني ؟ مش فاهم ؟

بدا أنها فكرت في أمرٍ ما مسبق، لأنها على يقين بطبيعته إذا أتت له فكرة في رأسه؛ فلن يغمض له جفن حتى ينتهي منه فسألته:

- عندك استعداد أنا كمان مستعدة بس بشرط.

- ما احبش حد يتشرّط عليا وإنتي عارفة، بس اسمع منك مايضرش.

- لو إنت نجحت إنك ما تضحكش ولا تزعل هاعطيك نص مليون جنيه.

يرد وهو يخفي سعادته ويقول مندفعًا:

- موافق دي بسيطة، طب لو فشلت؟

تكتب الشقه دي باسمي بيع وشرا، وإن كان كده أجيبلك ورقه تكتب تنازل، وأنا هاقوم الصبح أعمل الإجراءات.

- إنتي عارفه إن الشقة تساوي أكتر من نص مليون بكتير.

- عارفة، بس عارفة دماغك مش هاترتاح إلا لما تكسب، يعني مؤكد أنا اللي خسرانة.

أخذ يقلّب في رأسه ما سمع منها واستقر قائلاً:

- موافق، ولما أقوم بالسلامة نروح الشهر العقاري أكتبلك تنازل، ده لو إنتي كسبتي.

- ها ها ها تفتكر أنا أضمنك لبعد ثانية؟ يا حبيبي أسهل ما فيك وعودك، دلوقتي لو حبيت وإلا بناقص، عمومًا إنت خسران لإنك خسرت أو كسبت هاتعرف حاجات بملايين.

ما قالته لخبط له كيانه وأغراه فاندفع قائلاً:

- موافق، وعارفك أصيلة مش هاتضريني أبدًا.

- وأنا عارفاك أصيل قوي من يومك.

- آه أصيل قصب، أو أصيل موز باللبن، ها ها ها

- قلنا ما تضحكش كده خسرت.

رد منفعلاً:

- هو إحنا لسه بدأنا المراهنة؟ لما نبتدي بس فيه حاجة نسيتها.

- إيه هي ؟ عارفاك لما تتلكك، قول

- طب إنتى هتضمني حقك لو كسبتي، طب أنا أضمن حقي إزاي؟

نظرت إليه باستنكار:

- فيه مرّة وعدتك بحاجة وخلفت وعدي معاك؟ إنما أنت هاتلي وعد وعدتني بيه ونفذته؟

- مش هازعل عشان أتعود وأكسب، يللا هاتي الورقة والقلم عشان أوقع لك ع التنازل، ويصير خير.

- بلاش بقي يصير خير دي اللي بتفكرني بمنطقة الحمرا في الرياض اللي كنّا ساكنين فيها بعد ما انتقلنا من البطحة؟

- كانت أيام، كنّا عايشين ملوك.

- ماشي يا ملك وكتابة، هاروح أجيبلك تمضي وتبصم.

يرد منفعلاً:

- أبصم؟ كده مافيش ثقة خالص بجد.

- سؤال إنت بتثق في حد؟

- آه كنت بثق في أمي الله يرحمها.

- أروح أجيب والا هاترجع في كلامك؟ إيه ؟

- روحي، بقيتي صعبة يا نجوان قوي، فين القطة المغمضة؟

- ماتت يا فتحي من زمان غصب عنها، واللي يتلسع م الشوربة يا فتحي.

- طب خليني حتة لحمة جنب الشوربة هيئ هئ هيئو.

- كفاية استظراف واستعد للجد.

- يصير خير.

- تاني؟!!!!

بعد أخذ توقيع فتحي علي التنازل والذي كتبته نجوان منقولاً عن تنازلات قديمة احتفظت بصورها في خزينتها الخاصة، وأصرت علي أن تأخذ بصمته، أراد فتحي أن يخفف عن نفسه ما فعل، وأخذ بتبسيط الأمر وقال :

- عارفه أنا وافقت إني أعمل كده عشان الأمر سيان بالنسبة لي، لأنك كده أو كده هتاخدي الشقه بعد ما أموت، إيه يعني ما أنا ياما كان عندي وراح بمزاجي.

- لا مش بمزاجك، بالعكس إنت اللي كنت بتاخد من غيرك أي حاجة غصب عنهم، عمومًا يا توح هايبان لما نبدأ المسابقة بتاعتنا.

- يللا بقى شوقتيني، نفسي أمسك فلوسك وأعدها، وأشوف القهرة في عينيكي.

- شوفتها كتير.

- قهرة الفلوس شكل تاني، ليها وجعها.

- متهيألك، دي بس عند اللي مابيفهمش في وجع المشاعر.

- رجعنا للفلسفة، خوشي بقى برجلك اليمين وابدأي، بس قبلها أطلبي لنا دستة جاتوه من عند "لابوار" مع كوبايتين شاي عشان القعدة شكلها هاتبقى نار يا نجوان، إلا صحيح ليه أمك سمتك نجوان مش نجوي واحدة؟

- قلنا بلاش رزالة، الله يرحمها ماكنتش بتطيقك لأنك كنت لطخ معاها وجلياط وعمرك ما قلت لها كلمة حلوة لغاية ما ماتت بقهرتها عليّ وعلى حالي، من أول ما شافتك كانت

تقولي الواد ده جبلّة و وصولي، ومش هاتشوفي معاه خير زي ما إنتي فاهمة، الله يرحمك يا ماما.

- برضه مش هازعل، عشان أكسب وتخسري، فعلا الله يرحمها كانت ست رخمة وعليها بصّة من عينيها لي أحس إنها كانت عايزه تولعني، بس الحاج الله يرحمه كان بيقدرني ويقول عليا مكافح وعصامي، وفِي يوم من الأيام هايكون لي شأن كبير وحصل، الله يرحمك يا حاج وهدان.

دق جرس الباب، فارتدت الطرحة فوق رأسها، ثم أسرعت تفتحه، وتناولت علبة الجاتوه متوجهة للمطبخ بينما هو يناديها:

- يا نجوان حطي لي تلات حتت من اللي بحبه وماتتأخريش.

قدمت له الجاتوه بعد مساعدته للقيام من السرير متكئا عليها خوفًا من الوقوع، وجلس على كرسيه المتحرك يتناول الشاي بمزاج عالٍ مع الجاتوه، بينما هي ذهبت لغرفتها تقلب بين أوراقها ما كتبته من ذكريات وحفظت في رأسها العناوين الرئيسية ثم عادت إليه تجلس أمامه بهدوء واسترخاء و تقول:

- طبعا إنت عارف شروط المسابقة، والا اسمعهالك تاني؟

- عارف، بس الرحمة حلوة برضه.

- كويس أنك فاكر إن فيه حاجة اسمها الرحمة.

- مبسوطة أهو وأخدت كمان حبيتين ضغط مش واحدة، يللا يا نوجة.

- طبعًا فاكر أول خيانة منك ليا؟

- متهيألي البت الممرضة لما كنت بعمل عملية البواسير، بس بصراحة كانت بنت فرس.

تجاهلت رده وأكملت :

- كانت بواسيرك ملتهبة جدًا، ومنتفخة وحالتك صعبة جدًا، وبتتألم ومامعاكش فلوس للعملية، أول ما قولتلك أنا هساعدك وأتحمل كل التكاليف ما صدقت، واخترت أغلى مستشفي في مصر الجديدة، وكمان أعلى درجة إقامة فيها ، وجراح كمان مشهور، تفتكر لما قولتلك ساعتها كفاية الإقامة تبقي يومين كفايه عشان المصاريف، زعقت في وشي وقلت إيه؟

- قلت من أولها هاتذليني؟ بلاش بخل أنا متعوّد ع الحاجة النضيفة في كل حياتي.

- طب بذمتك إنت فعلاً كده ؟

- بصراحة كنت عايز اللي ييجي يزورني يفهم إن أنا مرتاح ومعايا فلوس ويتكلم عني حلو، وكمان اللي في المستشفي يعاملوني باحترام ويقولولي يا باشا وكل طلباتي ينفذوها، لعلمك بقى ده اللي حصل فعلا، يعني تفكيري صح.

- أكمّلك واتفقنا مافيش ضحك ولا زعل، دول نص مليون جنيه يا توح، حضرتك نقّيت أحلي ممرضة في الطقم كله، وقعَدت تغازلها لما رفضت تجاريك، طلبت تتجوزها عرفي البنت غلبانة فاكراك بتلعب بالفلوس وعندك أرصده مش عارف توديها فين وسرحت بيها في دنيا الأوهام.

- أهو بلسانك قولتي غلبانة يعني تستحق العطف، وربنا بيعوض، بس إنتي عرفتي إزاي، مع إني كنت حريص جدًا وحويط، و تخيلت أول مرّة تعرفي، وأنا اللي وقعت بلساني، وقولتلك دلوقتي.

تكظم غيظها وتقول:

- ما علينا، في يوم روحتلك المستشفى عشان جيبالك أكل بتحبه وشوية حاجات وبوكيه ورد، لقيت الباب مقفول من جوه تخيلت إنهم بيغيروا لك ع الجرح قعدت برّه مستنّية، لقيت الممرضة خارجة تعدل هدومها، فهمت إن فيه حاجة غلط كانت بتحصل، مسكتها وهددتها إن ما قالتش الحقيقة هاروح لمدير المستشفى، ولو تهاون في الموضوع، هاروح

قسم النزهة، وليّا رتب هناك كتير يخدموني، البنت خافت وخرّت بكل حاجة بينكم وإنها مش وحشة، ده جواز عرفي والشهود التمرجي وبتاع الأمن..

تغيرت ملامحه وأصبحت كملامح التلميذ الفاشل زائغ العينين عند سؤاله أي سؤال، سواء أكان صعبًا أو سهلاً فهو لا يعرفهما أصلاً، إلا أنه كعادته لا ينحني فقال:

- يعني أهو جواز شرعي حلال مش خيانة، ولعلمك مش ندمان ولا دلوقتى زعلان.

- طب ممكن تخليني أكمل من غير غلوشة، المهم اتفقت معاها على إنها تستمر معاك وماتخبيش عليّا حاجة خالص وأنا أوجهها و وافقت .

- بس كلمة حق وكل حاجة راحت لحالها كانت مغامرة مني بس جبارة، مش ممكن أصدق إني عملت كده، كنت باتحمّل وجع الجرح وفِي نفس الوقت باعمل اللي أنا عايزه معاها.

- عادي، أنا اللي مش هاعلّق على كلامك ده، أسمع للآخر.

قامت وفتحت التكييف ثم عادت تقول:

- خليتها تطلب منك شقة تسكن فيها وإنت طبعًا مفلّس رفضت، رجعت قالتلك علي فلوس، قلت لها لما تخرج

علشان تروح البنك، خرجت م المستشفى وكانت الفواتير عاملة ٨٠٠٠ جنيه ده كان رقم ضخم وقتها، وافقتك تجيلك البيت قال إيه عشان تغيرلك ع الجرح، ويستمر الحوار بينكم وطلبت منك عشر آلاف جنيه، وإلا هاتقولي وتوريني العقد العرفي، و وعدتها بعد أسبوع، متابعاك وإنت بتكلم نفسك تجيبلها الفلوس منين؟ روحت استلفت من ابن خالك البخيل جدّا وكتبت له شيك على بياض.

- الله يخرب بيته هو سابني إلا ما دخلني السجن، كانت سنة سودة، راسه وألف جزمة ما يتنازلش أبدًا عن القضية.

- هو كلمني الحقيقة وأعطيته المبلغ بشرط ما يتنازلش عن القضية ويسجنك لأني خدت العشر آلاف من البنت، رضيتها ب ٢٠٠٠جنيه فرحت بيهم واخذت فلوس المستشفي اللي دفعتها، وعشان ما سيبش حقي في ال ١٠٠٠٠ جنيه هاقولك في وقته اللي حصل.

- كنتي صعبانة عليّا قوي وأنا في السجن وجايه في الزيارة منتظمة ماتفوتيش زيارة واحدة لغاية ما خرجت، تيجي ساحبة العيال، برغم كنت أقولك بلاش تجيبيهم لأن لما كنت أشوفهم كنت بتقطع عشانهم، وأنا ورا السلك مش عارف حتى أبوسهم، كملّي يا حنينة يا أم قلب ملبن.

- بتتريق؟ أفكرك يا فتوح بشروط المسابقة ؟

- لا خلاص خلاص، مش هازعل أبدًا ولا اتنرفز وهاكون جبلّة وتنح على رأي أمك، وبعدين عندي شلل جاهز مش لسه هايجيلي لو زعلت، طب على كده فيه فسحة والا نفخ لغاية الفرقعة ؟

- إزاي يا توح، البريك طبعًا أساسي تعمل فيه اللى إنت عايزه، وكمان فرصة أجهز تحضير المحاضرة اللي جاية، وكله مكتوب يا حبيبي.

# (٢)

جلست نجوان في حجرتها ترتب أوراق ذكرياتها حسب التواريخ وأهمية ما فيها، بعض ما فيها يستحق الدموع، أما البعض الآخر يستحق منها أن تخلع نعليها وتضرب رأسها بهما على سذاجتها في التصرف حين الحدث ، أو كيف تم اللعب بها، رغم تمتعها بالذكاء الحاد باعتراف الجميع ومنهم زوجها فتحي، وما يحدث الآن معه فرصة لن تتكرر ليستريح عقلها عند تكملة بعض النقاط التي غابت عنها وقت وقوعها.

إنها تدرك تمامًا أن العقل البشري عامة لا يستوعب كل تفاصيل وخبايا الأمور التي تمر أمامه، وأحيانًا ينقصه التفسير الصحيح، خاصة إذا ابتلاه الله بالتعامل مع عقلية غير عادية ونفسية مريضة أيضًا مثل التي يمتلكهما فتحي الذي يستمتع عند النجاح في خداع من يتعامل معه.

علي الجانب الآخر، ومنذ أن طلب منها فتحي فترة استراحة، والفكر فيه مشتغلاً بما سمع منها، عشرات التساؤلات دارت في خلده تحتاج صدق نجوان للإجابة عليها كي يرتاح ويهدأ ما بداخله ليتمكن من إنهاء المسابقة بينهما رابحًا، ربما عند ربحه يكون قد ثأر منها ولو جزئيا، بعد ذلك سيخطط للكثير بعد تمام شفائه الذي أقعده عن الحركة، وهي الوحيدة التي تتحمّل مهمة تمريضه وخدمته وأيضًا الإنفاق المادي عليه من مالها الخاص الذي ورثته عن أبيها وبعده عمها الذي لم يكن له ورثة غيرها عند وفاته.

تعجل فتحي كعادته ونادى عليها بصوته العالي حد الإزعاج:

- نجوان .. يا نجوان، فينك؟ بتعملي إيه عندك؟ تعالي وسيبي اللي في إيدك.

أتت إليه مهرولة منفعلة:

- خير يا فتحي، ورايا غسيل أخلصه وأجيلك.

- طب اطلبي لنا بيتزا حلوة زي بتاعت المرّة اللي فاتت نتعشى بيها، نفسي رايحه لها.

- طب أخلّص الغسيل وانشره، عندي عجينة بيتزا في التلاجه أعملها.

رد منفعلا:

- لا لا هاتيها جاهزة أحسن مابتعرفيش تعمليها زيهم.

نجوان في تحدي:

- من أي ناحيه بقي؟

- الطعم يفرق.

- خلاص أطلبها إنت، التليفون جنبك.

- لأ، أطلبيها إنتي بتعرفي تتعاملي معاهم.

ردت بغيظ:

- حاضر يا فتحي، هاطلبها لحضرتك، سيبني بقى أخلّص اللي في إيدي.

تركته وهي تتمتم بكلمات غير منتظمة، إلا أنها استجمعت أمورًا هامة في حياتها التي عاشتها وأخذت تحدث نفسها:

- طول عمره هاتي.. انزلي.. اعملي.. اتصرّفي، إنما يقوم بمسئولية بيت أو عيال يقف عاجز، ويعمل مش فاهم، هو أنا جايه ألومه دلوقتي؟ اللي راح راح، الله يرحمها ماما لما كانت بتقول " ابنك على ماتربيه و جوزك على ماتعوديه ".

أنهت ما في يدها، وتزيّنت لتغير من نفسيتها المضطربة ودخلت علي فتحي غرفته حاملة في يدها طبق من الفاكهة المتنوعة، وجدته يشاهد التلفاز بالتحديد فيلم علي القناة الأوروبية لتنفعل عليه:

- أفتكر مية مرّة قلت لك بلاش الأفلام اللي عجباك دي، اطلع واسيبك تتفرّج براحتك.

- اقعدي بس، دا فيلم حلو قوي بيحكي قصة إنسانية خطيرة.

- يا سلام، واضح قوي، هاتقفل والا لأ؟، أبقى أجيلك وقت تاني نكمّل.

- خلاص أهو أديني قفلت، أقعدي عشان محتاج أسألك شوية أسئلة في اللي قولتيه قبل البريك.

- اتفضل قول واسأل براحتك.

- هابدأ بسؤال الصراحة فيه مطلوبة قوي.

- ليه صبرتي عليّا ومافكرتيش تبعدي أول ماعرفتي حكاية الممرضة وسيباني أكمّل ؟

- ماكنش ينفع يا روحي أقولك طلقتي وأروح بيت بابا مهزومة ومكسورة بعد ما اتحديت الدنيا عشانك ورفضت كل النصايح وكانت دماغي جزمة ميري إنك شخص مافيش منك

وهاتشيلني في عينيك، طب إنت بذمتك يرضيك يقولوا عليّ فاشلة؟، نجوان البرنسيسة تبقى فاشلة؟! ده حتى يبقى عيب، نجوان ملكة الأناقة في مصر والسودان والأردن كمان تفشل؟!، و بعدين فهمتك يا روحي إنك ندل و واطي من أول الخطوبة، لكن كنت باضحك على نفسي وأقولها بكره هايبقى كويس ويقدّر وقفتي جنبه ويحس إني بحبه فعلاً بإخلاص، إنما طلعت هبلة وبلاص.

يخفف مشاعر غضبه في أكل تفاحة يقضمها بغل ويقول:

- تدخليني السجن؟ وكنتي محروقة عياط لما قبضوا عليّ لتنفيذ الحكم وتزوريني وإنتي مقهورة، وباين عليكي الحزن وأنا مقتنع.

- طبعًا مش جوزي حبيبي وأبو عيالي، لازم أكون جنبه في محنته، ينفع أكون ندلة واتخلّى عنك؟! وبعدين من حبي فيك عايزاك تطلع من السجن مهذب وصالح، مش بيقولوا السجن تهذيب وإصلاح، شوفت قد إيه تضحيتي عشانك؟

- وعشان أكون أمينة معاك كنت أروح السجن أزور مسجون اسمه "الدوكش" عرفت من أهالي المساجين إنه مسيطر ومسجل خطر أعطيه سجاير وأكل وأوصيه يروق عليك في العنبر، الحقيقه كان صادق وعنده مبادئ كنت باشوف معاملته معاك باينه على وشك لما أزورك وابقي

منشكحة وأدعيله ربنا يبارك له في صحته، كنت أسألك عينك وارمة ليه يا حبيبي سلامتك، كنت تقولي اتخبطت في الباب، ومرّة في السقف واشوفك مرّة بتعرج تقولي وقعت وأنا بستحمّى، أقولك خلي بالك من نفسك يا روحي، شفتك في حياتك حنان أحن من كده؟، تخيل لغاية ما أخواتي البنات ماتوا كلهم الله يرحمهم مايعرفوش إنك اتحبست، عشان تعرف بس إني عايزه صورتك دايمًا حلوة قدامهم.

- سألوني مرة عليك وانت في السجن قولتلهم مسافر فرنسا في مصلحة، شوفت في عينيهم ساعتها حقد وغيظ مش قادره أنساه، ساعتها افتكرت المثل اللي بيقول" يحسدوا الأعمى على جمال عينيه "، شوفت بقى يا توح كنت بستر عليك قد إيه؟

- أصيلة يا نجوان.

- اتريق براحتك مسمحاك، بس عارف كنت في البدلة الزرقا بتاعة السجن حلو قوي، وشكلك طيب فيها خصوصًا لما كانت البدلة كلها متقطعة ومن غير ولا زُرار، متقطّعة من كل حتة فيها من الشد والجر بتاع "الدوكش" الله يمسيه بالخير كان راجل صاحب كلمة مش زي ناس.

أخذ فتحي نفسًا عميقًا وتناول حبة الضغط وأخذ يشرب من زجاجة مياه معدنية مستمرًا وهو لا يدري أنها فرغت، سألته نجوان بهدوء:

- أجيبلك إزازه تانيه لو عايز.

- مش عايز، بس عايز أعرف برضه ليه استمريتي معايا بعدها، وما اعترضتيش؟ لو حد غيرك كان اتصرف بشكل تاني خالص.

- مافيش حد يحس بحد إلا لما يبقى في ظروفه، كان عندي تلات ولاد خايفة عليهم وأنا أم، ماليش بديل مريح أكون فيه أنا وعيالي، وكان عندي أمل فيك للأسف، عارف لو أنا لوحدي، كنت خلصت منك من بدري ورميتك في أول بلاعة.

نظر إليها نظرة غريبة ثم طرد ما اختلج في نفسه من مشاعر وقال لها:

- جرس الباب بيضرب البيتزا وصلت، ابقي ادي الواد بقشيش متين، عشان يبقى يجيلنا بدري لما نطلبه بعد كده، ومايتأخرش.

- حاضر يا باشا.

- يللا بقى اتحركي وهاتيها وهي سخنة.

- هي مين؟

- البيتزا يا نجوي.

- نجوان يا فتحان.

انصرفت وجهزت له البيتزا، ومعها علبة مياه غازية، وزجاجة مياه، ثم وضعت الصينية على طاولة الطعام أمامه فقال لها ببرود:

- قومي هاتيلي إزازة مايه ساقعة دي سخنة وكمان علبة الزتون عشان أبلع.

- أوامرك يا باشا.

اهتم اهتمامًا بالغًا بتناول البيتزا، مبديًا لها متعته بتناول شرائحها، وبدأ يثني على صناعة البيتزا في المطاعم أفضل كثيرًا من صناعة البيوت مهما كان إتقان ست البيت، وبصفة خاصة نجوان، طلب منها رفع صينية الطعام وتنظيف الطاولة.

نظر إلي ساعة الحائط فوجدها تشير إلي التاسعة والنصف مساءً فطلب منها الجلوس لتكمل له بقية المسابقة بينما يعتريه خوف داخلي من خسرانه إياها، فضوله في معرفة ما في جعبتها يزيد حماسته وتحمله ويقول:

- يلا بقي نكمّل يا نوجة، أنا عارفك منظمة قوي في تفكيرك، وهاتقولي بالتسلسل.

- حاضرين حضرتك، بعد خروجك من السجن كان الأمل برضه عندي فيك وشوية حب، والولاد بتكبر قدام عيني، وطلباتهم بتزيد خصوصًا فيهم توأم وتربية التوائم مشكلة مش سهلة، واحد فيهم يمرض تلاقي التاني بقى مريض من غير سبب، واحد فيهم عايز يستحمى أخوه يقلع هدومه من نفسه وعايز يستحمى زي أخوه، والتالت الصغير بسلامته لازق فيا مش عايز يسيب حضني، وإنت ولا هنا بتتفرج عليّا وعايز طلباتك تخلص قبل العيال.

- كده المسابقة هاتقعد سنين، يا ريت تنجزي.

- ماشي يا توح، جيت مرّة تقولي إن فيه فرصة عمل في السعودية وعايز تمن التأشيرة وتذكرة السفر وشوية ريالات عشان تصرف لغاية ما تقبض، واتصرفت لك في الفلوس، فاكر يا روحي؟

- دي حاجة تتنسي برضه، دي كانت سفرية الخير والسعد علينا .

- علينا؟ ما علينا، لما سألتك طب أنا والعيال هانعمل إيه، وأنا ماعنديش دخل أصرف منه.

- قعدت ست شهور لغاية ما جهزت لكم بيت على قد ظروفي وجيت خدتكم، صح؟ وكنتم فرحانين إن هانتلم مع بعض.

- كنت بتشتغل رئيس الجودة بمصنع ألبان في الرياض، مرتبك كان حلو، وطبعًا عمرك ما قلت لي كام، على البنك عدل، كنّا ساكنين في "البطحة" مع إنك تقدر تسكننا في حتة أفضل كتير.

- يعني كان لازم نبعتر الريالات اللي بقبضها؟ كنت عايز أحوش وأشوف مستقبلي، أومال يعني كنت مسافر ليه ؟

- مش ده المهم، المهم اتلميت حضرتك على جماعة دينية في السعودية مؤيدة للنظام على طول الخط، اتحولت يا روحي بقدرة قادر لداعية إسلامي مع إنك خريج علوم، بدأت الفلوس تلعب في إيديك وإنت معانا زي ما أنت الفقر ماسكك المهم عندك رصيدك.

- لا بقى، انتقلنا من "البطحة" روحنا منطقة راقية "الحمرا" في قلب الرياض وكمان جبت عفش جديد.

- طبعًا عارفة إن الجماعة هي اللي جابت لك السكن لأنك كنت مخلص معاهم وترضي كل شيوخهم، طبيعتك يا حبيب قلبي تاكل على كل الطبالي، برغم ده قلت يمكن ربنا ينور بصيرتك وتعرف دينك والعيال يفهموا دينهم.

- ده شايفاه عيب؟ إنتي كمان لبستي النقاب، وأنا اجتهدت لغاية ما بقيت داعية معروف .

- آه صح بأمارة لما كنت بتتخانق معايا، كان ناقص تضربني وأنا بصحيك لصلاة الفجر، المشكلة أنك كنت قدوة لناس كتير خاصة الشباب، والحقيقة كنت بليغ جدًا في الخطابة، وقوة الجعورة دي كنت بتستخدمها بحرفية لما تحب تخوف الناس من العذاب والعقاب، تحسسهم أنهم شويه ويتحرقوا وكانوا بيسمعوك رغم مكيفات المساجد عندهم، ويَا لهوي عليك يا توح لما كنت تتكلم عن مصير من يخرج عن الحاكم كأنك بتقوله أخرج عن عبادة ربنا أسهل لك، والعياذ بالله، وعليك طبقات صوت كل طبقة ليها غرضها لما تحب تتكلم عن التحذير والترهيب والنهي بمزاجك طبعًا كنت تصرخ وترعب اللي يسمعك، ولما تحب تتكلم عن الترغيب والوعد بالجنة للي يسمع كلامك تبقى حنين قوي، وتتسهوك يا كبدي لدرجة أنا نفسي كنت أصدقك وساعات أقعد أعيط.

- يا ريتها دامت يا نجوان، كان زماننا دلوقتي عايشين في قصر ونودع الفقر للأبد، كنت عارف مدخل كل واحد من الشيوخ وأعرف إزاي أقلبه وأخليه يأمر لي بالعطايا، بس صدمتي بدون سابق إنذار، رفدوني من الشغل في مصنع الألبان وتم ترحيلي على إني خطر على أمن المملكة، اكتفيت

بالقرشين اللي معايا، بس البحر يحب الزيادة وأنا بحري غويط.

نجوان تتأمل الحسرة على وجهه عند تذكره هذا الموقف في حياته وقالت بغية استفزازه:

- بس علي كده كأنك ماعملتش حاجة تدينك في فترة الدروشة والمشيخة دي ولبست توب التقي الورع، وأنك الداعي إلي الله لا تريد منهم جزاءً ولا شكورًا، افتكر يا شيخ فتحي يا أبو فارس جزاك الله خيرًا وجعلك ذخرًا للإسلام والمسلمين.

- مش هازعل زي اتفاقنا، واعتبر التريقة دي منك مدح في شخصي الكريم، لكن ماذا وراءك يا سيدة الدعاة؟

- مقبولة منك يا توح، افتكر حرب البوسنة والهرسك، والغنيمة اللي جبتها لي البيت يا أبو التحاتيح.

- قلبك إسود يا نوجة، دي كانت تضامنًا مع اخواتنا في البوسنة والهرسك اللي الصرب الكفره أبادوا معظمهم خاصة الرجال وسابوا أرامل عددهم ضخم، والحقيقة كان توجه المملكة أنهم يجيبوا الأرامل دول يستروهم في بلاد الحرمين الشريفين، وكل اللي يتجوز واحدة يعطوه مكافأة كويسة، بذمتك ده عرض يترفض؟، لا لا كده في دي ماعندكيش حق يا نوجة، جواز شرعي وفلوس كمان، مين خايب يرفض

يكسب في الدنيا والآخرة، لا يا ست الكل شوفي موضوع غيره عشان في ده ماعندكيش بعد نظر.

نظرت إليه بعين مغمضة والأخرى مفتوحة ولسان حالها يقول ارحمني أيها الكذوب ثم قالت له:

- مش هالومك أبدًا ولا أزعل إنك لسه بتسرح بيا، بس هاكلمك على اللي عايشته بس، في يوم حضرتك ضربت جرس الباب مش زي عوايدك وعلى غير ميعادك، لقيتك داخل ومعاك اتنين ستات شكلهم زي الفل، ودخلت تعرفهم بيا، ولما جيت أسأل مين دول قولتلي أخوات من البوسنة ضحايا الحرب الصربية.

- سألتك أيوه يعني مالنا ومالهم؟ هي الحرب هنا في الرياض؟، قولتلي لا دول هايعيشوا معانا هنا لغاية ما ربنا يفك كربهم ويرجعوا بلدهم سالمين.

- يعني أهو عمل إنساني صرف، إيه بقى اللي زعلك وقتها، وخلاكي تقلبي عليّا، قولي قولي.

تتمالك من الغيظ وتقول:

- يا توح يا إنسان، لما تقولي ده جواز مؤقت وإنت راجل داعية و واعظ و تفتي خليت عقلي طار، لما ضغطت عليك قولتلي إنك اتجوزتهم رسمي وفعلي زي شيوخ الجماعة ما

عملوا، عرضوا الحريم في صف وكل واحد يدخل يختار، ساعتها حزنت مش على نفسي بس، كمان علي رخص الست في بلادنا وفِي نظركم يا اللي عاملين حماة الدين، لما ترجعوا عصر الجواري وتعرضوهم في سوق النخاسة، هدفكم كده حيواني مش إنساني زي ما بتقول.

- الغريب اكتشفت إنك وغيرك أخدتوا فلوس من خزانة المملكة، طبعًا يا جميل ماجبتش وقتها سيرة الفلوس لكن أنا عرفت بالصدفه من الجرايد، قعدت بعدها اتفرج علي تصرفاتك في البيت في وجودهم طبعًا، المشكلة إنك ادعيت إنك من أنصار التعدد ومسكت موضوع التعدد خطبة رئيسية فترة كبيرة، تشرح مزاياه وقدوتنا الرسول الكريم وهاتك يا لبخ بس كلام منظم وشكله حلو.

- أيوه أؤيد التعدد البلوشي مجانًا يعني.

- وهو ده أمر ربنا في التعدد والغرض منه يا فضيلة الشيخ ؟ بس مش مهم، إنت ماشفتش شكلك قدام عيالك اللي بقوا شباب في سن المراهقة، تخيل شوفت ابنك الكبير كان بيبص عليك من خرم الباب لأنك كان صوتك عالي كأنك في حرب مقدسة.

- ولد تالف ماعرفتيش تربيه يا نوجة.

- ويَا سلام يا توح وانت خارج معانا، أقصد مع حريمك التلاتة، و ولادك التلاتة، ماشي بتتفاخر بالعربية بتاعت الجماعة "فور باي فور" كأنك أمير ملكي بالظبط، حتي لابس لبسهم وماشي تتقمع تقول للدنيا اتهدي ما عليكي قدي.

- بس الحقيقه كنت اتحرى العدل عشان ما اقعش في معصية.

- حلوه معصية دي يا شيخ أتح، دا انت يا روحي وزّعت أولادك التلاتة علي أوض الحريم، واللي كان تاعبني شعور الولدين التوأم لما بعدوا عن بعض في النوم، وأبوهم الشيخ الجليل أقصد الجميل كل يوم في أوضه بيناضل.

- كان بالفعل نعم النضال، طب كده أعتقد خلصنا موضوع السعودية؟ نقلب بقى الصفحة.

- لا، اللي فات ده كله مجرد بداية، أنا كنت فيه بتفرج بس، ماتستعجلش يا صاحبي .

جاحظ العينين يسأل:

- هو إنتي كان ليكي دور يا نوجة يا حبيبتي؟

- بلاش حبيبتي عشان هاستفرغ وهي طالعة من بوقك.

- عندي أقراص للدوخة والغثيان مفعولها أكيد أنا جربتها.

- فتحي يا ريت تخف شوية من خفة دمك.

- كده يبقى ميه مش دم، مش هاضحك عشان مش عايز أخسر.

- طب بص بقى يا شربات، كفايه علينا لغاية كده دلوقتي، أنا عايزة أنام، أسيبك دلوقتى وبكره نكمّل إن شاء الله.

- طب استني بس قوميني عايزك تدخليني الحمام، الظاهر أكلت كتير، معدتي منفوخة من ساعة ما أكلت البيتزا، الله يخرب بيوتهم مش عارف حاطين فيها إيه.

- طب يلا هات إيدك وأنا واقفة معاك لغاية ما تخلص.

- جهزي لي ساندوتشين جبنة وبسطرمة علي ما أخلّص.

- حاضر.

- وكوباية شاي أخضر عشان الانتفاخ.

- حاضر.

- ولو فيه علبة كانز صودا ليمون يبقى خير.

- مافيش؛ خلص.

يرتفع صوته محتدًّا:

- خلص؟ دا إنتي لسه جايباه من تلات أيّام .

- انت اللي بتشربه لوحدك أنا ما باحبوش.

- خلاص قطعيلي حتة بطيخ على حتة شمام.

- بالليل؟

- طبعا، ليلتي لسه طويلة هاتبتدي حالاً مع القمر الأوروبي.

- ربنا يهديك، أروح بقي أجيبلك اللي طلبته، ما تنساش بكرة الساعة عشرة الصبح هانروح نعمل أشعة وتحاليل.

- يادي النيلة عليّا، عشرة الصبح؟

- ده ميعاد الحجز، ولازم ننزل قبلها بساعة عشان المواصلات بتبقى زحمة.

- طب ما أقولك حاجه يا نجوان.

- قول.

- ما تروحي إنتي.

- ده اللي ناقص فعلاً.

- طب بقولك إيه يا نوجة، ما تيجي نتغدا بره بكرة، نروح المطعم الصيني، فرصة اسمع منك دورك اللي قولتي عليه من شويه وأنه كان أساس في موضوع السعودية.

- يصير خير.

# (٣)

دقت الساعات جميعها بالمنزل تعلن أنها الثامنة صباحًا؛ وذلك من ترتيب نجوان وصنيعها حتى لا يفوت موعد المركز لعمل الأشعة و التحاليل الخاصة بفتحي الذي ما زال يغط في نومه بالوضع الغاير للمألوف يزوره نهارًا ويجافيه ليلاً، كوّن الشقة تطل على جهة الشرق، فالشمس تؤنسهم ويأنسون بها، حتي تتحول إلي الجهة الغربية لأرض الله، والفلك المقرر لها.

تعمدت نجوان فتح ستائر نوافذ الغرفة حتى تقلق فتحي؛ وتعلن أن النهار قد أنبلج علي الكون بما فيها مصر الجديدة؛ وعليه الاستعداد لموعد يعلمه مسبقًا.

اعتادت نجوان مصاحبة ما يذاع من برامج دينية وأحاديث وتلاوات قرآنية من إذاعة القرآن الكريم، هذا الصباح قامت برفع صوت المذياع حتى يسمعه فتحي

ليستيقظ على إثره، فلما يئست من استيقاظه من تلقاء نفسه ذهبت إليه لتوقظه برفق كي لا ينزعج :

- فتحي.. فتحي.. فتحي، قوم اصحى عشان نلحق ميعادنا، الساعة بقت تمانية ونص ولسه على ما تجهز، ونطلب "أوبر" وننزل في زحمة المدارس تكون الساعة عدت عشرة، فتحي .. فتحي .. فتحي.

- كفاية زن بقى سمعت خلاص، ماتعرفيش تبقي هادية عن كده وإنتي بتصحيني؟

- فتحي.. فتحي.. فتحي.

يصرخ بصوت مرتفع :

- خلاص بقى ارحميني، قولتلك سمعت وصحيت.

- فتحي.. فتحي.. فتحي.

- ناوية على شلل الجنب التاني؟! خلاص يا نجوان الله يهديكي.

- أنا بتأكد بس، فتحي.. فتحي.

يصرخ قائلاً :

- الله يخرب بيت فتحي ع الصبح.

- مستعجل ليه بس؟، طب يللا هات إيدك أدخلك الحمام جهزته من بدري، يللا عشان تفطر وتاخد العلاج، وتلبس وننزل.

أخذت بيده، ثم تحركت به نحو الحمام في داخل الغرفة؛ وأدخلته ثم تركته يأخذ حمام الصباح؛ وتوجهت إلى المطبخ لإعداد الفطور، تسير ببطئ وتقول : فتحي.. فتحي .. فتحي.

بعد تناول الفطور وفنجان الشاي المعتاد، أخذ علاجه الصباحي وارتدى ملابسه بمعاونة نجوان؛ وقد اختار قميصًا شبابي اللون، وسروالاً يتناسق معه وكذلك الحذاء، أجلسته على كرسيه المتحرك يقوده بذراع الحركة المثبت على مخدع الكرسي الأيمن، تحركا نحو الأسانسير ونزل بهما حتى الدور الأرضي، وجدا سيارة "أوبر" أمام العمارة حسب اتفاق نجوان مع السائق بالهاتف.

وصلا إلي مركز الأشعة والتحاليل قبيل الموعد بعشرة دقائق، وهذا جعل نجوان فرحة بدقة توقعها فقالت له:

- شوفت بقى يعني لولا زنّي عليك؛ كنت زمانك نايم بتشخر، كنت متعصب عليّا وأنا بانده عليك، فتحي.. فتحي.. فتحي.

يقاطعها منفعلاً:

- اسكتي بقى؛ قايمة فايقة ع الصبح، مع إن نظرة عينيكي بتقول إنك مخنوقة منّي ومش طيقاني.

- ليه بس يا فتحي.. يا فتحي .. يا فتحي.

- يا ربي، غيرتي بدل فتحي بقت يا فتحي، يلا بقي ادخلي ع الاستقبال عشان الاجراءات والدفع.

- من عيوني يا فتحي بس؛ ها ها.

تمت كل الإجراءات بسهولة وآن لهما العودة من حيث أتيا، كان فتحي يتحدث إلي نجوان متوددًا:

- فاكرة اتفاقنا أمبارح إننا نروح نتغدا في المطعم الصيني ؟

- ماكنش فيه اتفاق، إنت قلت؛ وأنا سمعت وبس.

- السكوت علامة الرضا.

- لو طبقت المثل ده على نفسك كنت نفذت لي كل طلباتي من ساعة ما عرفتك.

- إزاي يعني، فهميني.

- كنت لما أطلب منك أي طلب للبيت أو للولاد ونادرًا ليّا، كنت تسكت وما تسألش؛ ولا كأنك سمعت، علي طول أفهم

إنك مش هاتجيب؛ ولا بتفكر تجيب، اشمعنى دلوقتي بقى عارف إن السكوت معناه هاجيبلك أو موافقة من أصله؟.

- يعني مش هانروح نتغدا في المطعم الصيني؟

- هانروح يللا بينا.

تحركت بهم السيارة إلى حي مدينة نصر حيث يقع المطعم الصيني هناك، كالمعتاد تحركت نجوان بجواره تساعده وقت اللزوم، ليجلسا إلى مائدة تري الشارع والمارة فيه، ليشعر فتحي أنه في ما زال في الحياة، يراها ويتابع السيدات و خطواتهم، وهو المشتاق لرؤيتهم على الطبيعة وهذا أفضل كثيرًا من رؤيتهن بالتلفاز في غرفته.

المطعم مصمم على الطراز المعماري للصين القديمة، تشعر فيه بالراحة، وابتسامات لا تتوقف من العاملين به للزوار، حتى الأواني مصنوعة من الخزف الصيني المرسوم عليه عرائس بزيهم التقليدي القديم، المقاعد خشبية محفور عليها يدويًا أشكال لأشخاص لهم سمات تدل على القوة، الستائر المتدلية على النوافذ وكذلك النجف أخذ من نفس روح الطرز الصينية القديمة، إضافة إلى رسومات يدوية على الزجاج بالألوان الزاهية المبهجة، فبدا المنظر العام فيه انشراح للنفس و وحدة الروح وفِي العموم كانت الأناقة تعم أرجاء المكان.

تلاحظ عدم وجود زبائن بالمطعم؛ وربما يرجع السبب إلى عدم استساغة معظم المصريين مذاق الطعام الصيني، يستثني منهم من اغترب خارج مصر حيث المطاعم الصينية منتشرة لخدمة مواطني الدولة والجالية الصينية والأجانب عامة، وجود فتحي بالسعودية جعله يرتاد كل جنسيات المطاعم، فهو بطبعه أكول يحب الطعام حبًا جمًا.

قرأ كلا من نجوان وفتحي قائمة الطعام وأخذ فتحي يختار وجبته من واقع خبرته، بينما اكتفت نجوان ببعض السلطات رافضة كل مغريات فتحي في الاختيار لها، طبيعة نجوان الأكل ببطئ شديد؛ فأخذت تحدث فتحي وهي تهضم براحة حد الملل:

- إيه رأيك لما نكمل المسابقة هنا، في الجو الهادي ده اللي هايساعدك على تماسك أعصابك؛ ويوصلك للمكسب بسهولة، ع الأقل المرحلة دي، علشان انت بتبقى مشدود قوي، وانت قاعد في البيت ع الكرسي؛ أو حتى ع السرير.

- فكرة حلوة قوي يا نوجة بجد، دلوقتي بس حسّيت إنك خايفة عليّا؛ وعايزه راحتي، بس برضه لسّه مش لاقي تفسير لنظرة عينيكي اللي كلها حاجات غامضة نفسي أعرفها.

- ما تستعجلش علي رزقك زي ما كله بيعدي كله بييجي، إحنا وقفنا فين آخر مرة اتكلمنا فيها؟

بالطبع كان فتحي لا يحتاج إلى شحذ ذاكرته؛ بل يتذكر تمامًا كل حرف قيل له، يتصنّع التذكر ويقول:

- آه آه افتكرت لما قولتيلي إن كان ليكي دور في موضوع مغادرتنا من السعودية.

- المعنى الأدق ترحيلنا بسببك من السعودية، كان ليّا دور افتخر بيه في الترحيل، بافكرك ممنوع الزعل، لما لقيتك افتريت عليّا أو عشان ماتزعلش كنت حنون عليّا جدًا زي عوايدك، قلتلك إيه رأيك لو العيال الاتنين التوأم يسافروا برّه يدرسوا الطب عشان مجموعهم الخايب ده مش هايخلي ليهم مستقبل.

- فعلا كانت فكرة جهنمية منك إن ولادي الاتنين يبقوا دكاترة؛ وعلى حسّهم اتفشخر بيهم قدام اللي كل الناس اللي أعرفهم واخترت أوكرانيا عشان أرخص وأسهل بلد ليهم، والحقيقة من أول سنة كنت أتصل في أي مجلس بحد فيهم، أقوله: إزيك يا دكتور فهد وإزي أخوك الدكتور فارس، يللا بقى شدوا حيلكم عشان المركز الطبي جاهز ليكم في مصر باسم " مركز عائلة إف الطبي " طبعًا عشان اسم كل واحد منهم بيبدأ بحرف ال (ف) زيي ، كان الواد يقفل السكة في

وشي ابن الكلب وأنا بأكمل الحوار مع نفسي، ومش معايا ع الخط وأقول : لا لا عايز تقدير عالي جدًا، والا أقولك مش مهم التقدير، المهم التخصص يكون "تسا وتوليد" .. آه هابعتلكم الفلوس اللي عايزنها، اتغذوا كويس واتفسحوا، يللا سلام يا دكتور، كنت معلم، والنّاس قاعدة حواليا طرابيش ومبسوطة قوي باللي أقوله، يللا بقى كمّلي يا نوجة معلش أصل افتكرت الموقف الحلو ده.

- إنت شايف الموقف ده حلو؟

- طبعًا الناس عايزة كده، بتحترم اللي بيعمل كده، عارفة كمان كانوا بيبصوا لي إني راجل مريش؛ والمريّش بالنسبة لهم محترم، دي الحياة يا بنتي.

- كده يبقى أكمل أحسن ما أرد عليك وتزعل وتخسر، بعد ما أولادي التوأم سافروا وكمان حضرتك بعت أخوهم التالت لعمته في مصر عشان يكمل دراسته هناك وفرصة أبعتلها فلوس بسببه، لقيت نفسي الحمل خف شويه عليّا، لكن إنت فجرت؛ وبقيت تعمل كل اللي يدايق ست في مشاعرها مع الأوكرانيات وغيرهم، لغاية ما طلقتهم واحدة ورا واحدة لإن كان هدفهم ياخدوا الإقامة على قفاك؛ مش عشان وسامتك وسواد عينيك، ربنا هداني بفكرة أرسل جواب مني لرئيس جماعة "الأمر بالمعروف" وقد كان، أنا فاكرة يا توح اللي كتبته بالحرف الواحد:

سيدي فضيلة الإمام قائد جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حفظكم الله ورعاكم

حبًا مني في بلاد الحرمين الشريفين، وتقديرًا لما لها من أفضال ومواقف لا تنسى عليّ وعلى بلادي جمهورية مصر العربية
أتقدم وكلّي أسى ببلاغي هذا ضد زوجي /فتحي محمود الشوبكي
جواز سفر رقم: تاريخ الصدور:
العنوان التفصيلي :
وذلك لكونه يكن لبلادكم الآمنة الأبية كل العداوة والكراهية لقيادتها ولشعبها الكريم

مرفق لفضيلتكم فيديو يثبت ذلك.

ما دفعني فضيلتكم إلي هذا دون تردد أن بيتي هو بيت أحد المسلمين، بينما ستظل بلاد الحرمين الشريفين هي بيت كل المسلمين.
حفظ الله بلادكم ووقاها شر الفتن والمارقين عليها.
شكر سعة صدركم والسلام عليكم ورحمة الله

مقدمته / نجوان وهدان

جواز سفر رقم : تاريخ الصدور:

العنوان التفصيلي: نفس العنوان

رجاءً سيدي ألا يعلم زوجي بهذا البلاغ، وألا تعرضت لضرر بالغ خاصة أن لدينا ثلاثة أولاد.

تنهدت نجوان تنهيدة طويلة ثم أردفت تقول:

- وحياتك يا غالي ساعات يا دوب، ولقيت المنطقة اتفرشت جيش وشرطة و شيوخ كلهم جايين يقبضوا علي المارق الخطير فتحي، طبعًا أنا قعدت أصوّت، وأصرخ بصوت عالي وأقول لهم : عملكوا إيه؟ طب خدوني معاه، ده مالوش في السياسة، طب خدوني بداله، دا عنده كوم لحم، حرام عليكم، دا هو اللي بيصرف علينا.....، وانت بتبص لي وزعلان عليّا قوي، تقولي ادخلي يا نجوان، أكيد فيه حاجة غلط، واللي طلع ع العساكر والظباط "يللا بعدي يا حُرمة" قلت في نفسي حُرمة حُرمة بس أعيش.

كان فتحي يتابعها فاتحًا فمه، وعينيه كأنه يشاهد فيلمًا مرعبًا من أفلام مصاصي الدماء ثم قال:

- عايزة الحق، والله عايز أخسر الرهان دا، بس الأول ترجع لي قوتي وصحتي .

بهدوء شديد مع نظرة ثاقبة :

- ليه يا توح دا انت حتى طيب.

- بس ماقولتيش إيه اللي كان في الفيديو؟

- كان قعدة روقان مع صحابك اللي شبهك، وانت كانت وخداك الجلالة، قعَدت تجلجل، وتسب وتلعن في الوهابية ومؤسس الحركة الوهابية محمد بن عبد الوهاب، كنت قلت لي وقتها صوري لنا القعدة يا نجوان عشان تبقى ذكرى للمهندس جمال يونس صاحبنا لأنه مسافر وخلّص عمله في السعودية، طبعًا إنت كالعادة نسيت؛ وأنا عادي احتفظ بالذكريات، وزي ما كنت أقولك دايمًا كله بأوانه.

تنهدت ثم أردفت :

- لعلمك، إوعى تكون فاكرني طمعانة في الشقة، وعايزاك تخسر، ابسولوتلي يعني مطلقًا، أنا الحمد لله مستورة، وعندي اللي يكفيني، وعمري ما بصيت في اللي في إيد حد، ولا حتى اتمنيت أكون زي حد، معايا ما معييش أقول الحمد لله، ولا أعرف زي ناس يكون معايا وأقدم شهادة الفقر، هنا بقى افتكر قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من تفاقر افتقر... فإن التظاهر بالفقر يورث الفقر.

فتحي تملّكه رعب داخلي، وبدأ يبحث في ذاكرته عن كل المصائب التي ألمت به على مدار حياته، لدرجة البحث في مواقف لم تكن فيها نجوان طرفًا، ولدرجة استدعاؤه لفترة ما قبل رؤيتها، ربما تكون عرفته من بعيد وما كان يدري بها، صدمته في نظرته لها من قبل وتقييمه لها وقد كان

يطلق عليها "قطة مغمضة"، فكيف لهذه القطة أن تسن أظافرها وأسنانها ناهشة لحمه دفاعًا عن مشاعرها التي لم يكن يأبه بها، هي بالنسبة له كانت مجرد فتاة أحبته وأخلصت وليست لديها خبرة تذكر في الحياة .

سأل نفسه من أين أتتها تلك الجرأة، وحسن التخطيط، وبراعة التنفيذ لتثأر منه في هدوء، وبهذه الدرجة من الشراسة.

بينما كان هو في ردود أفعاله معها عند الخلاف يسبقها جلبة وصياح وتهديد، من هنا أتته فكرة إنهاء تلك المهزلة بينهما حتى بالتنازل لها عن نصف الشقة.

بينما نجوان مازالت تأكل طعامها المحدود المكون من سلطات فحسب، متأنية ولما نظرت إليه وجدته غارقا في تفكيره فأيقنت أنه يدبر لها شيئًا ما، فقطعت عليه هذا الغرق وسألته:

- مالك يا فتحي، أكيد بتفكر فيّا وبشكل صعب، صح؟

- يعني إيه صعب؟

- يعني إنتقام مثلاً .

- لا في دماغي صعب ولا سهل، أنا في دماغي بس عايز اقتنع مادام جواكي الغل ده كله ليا، ليه صبرتي ده كله طيب، وجيتي علي نفسك لغاية ما الغل اللي جواكي كلكع، وبقى قنابل كل شوية تفجري واحدة منهم في وشي، مش مقتنع بأسباب بيتكم وشماتة أخواتك وأولادك.

فكرت نجوان في كلامه وردت قائلة:

- عشان ماكنتش مكاني، خاصة إنك ماتعرفش يعني إيه أم ولها تلات أولاد هما دنيتها كلها وحياتها بعد ما أبوهم دمرها قبل ما يشوفوا الدنيا، علي كل حال واضح إنك عايز تتراجع عن اللي بدأنا فيه لغاية نصه، مافيش مشكلة حقك، بس حقي برضه إنك اتنازلت عن الشقة، ده عدل وما يزعلكش أعتقد.

محاولاً كظم غيظه :

- متهيألي ده ظلم واضح.

- سبحان الله لما فتحي يتكلم عن الظلم، ويطلب العدل، حياتي معاك اتخطت الظلم وأصبح في قاموسي كلمة الظلم هي الطاغية والواضحة، والعدل فيها غريب ونادر أنه يحصل فيها.

- طب سؤال.

- اتفضل.

- فيه حاجات تاني اتعملت عشان تاخدي فيها حقك زي ما بتقولي ؟

- طبعًا فيه، لهو انت شايف أن رد فعلي البسيط اللي قلته لك ده يكفي يوم من اللي عشته معاك، أو يرد لي حقي في موقف واحد بس من أفعالك وكلامك وتجريحك معايا؟! لوعندك إجابة منصفة مع نفسك ولو مرّة يبقى خلاص نوقف اللعبة السخيفة دي، وكل واحد يروح لحاله.

يرد فتحي منزعجًا:

- يعني إيه كل واحد يروح لحاله؟

- انت فهمت قصدي، ويللا بينا نعمل ده بهدوء.

- طب والشقة؟

- شفت أهو اللي يهمك الشقة بس، عشان تعرف بس إنت إيه وبتفكر إزاي؟ مافيش فايدة فيك وده من زمان، بس عشان إن حالتك الصحية دلوقتي صعبة شوية، فكرت في الشقة بس، عارف لو إنت كنت أفضل وبصحتك وجبروتك كنت فكرت في حاجات تانية كتير.

- طبيعي، الشقة دي شقا عمري اللي فات.

- عمرك؟ وعمري مالوش لزمة عندك، هاطلب الحساب عشان نمشي، أوصلك البيت وبعدين أروح أشم هوا نضيف مع نفسي.

- فين يعني؟

- ماعرفش بالظبط بس جايلي مزاج أقعد ع النيل.

متوددًا إليها ويسأل:

- كازينو إيه على النيل؟

- مش كازينو، عايزة البساطة، مجرد كرسي وكوباية شاي أو حُمّص الشام بالشطة واللمون، وأتأمل في الميه.

- موافق آجي معاكي.

- بس أنا ماعرضتش عليك عشان تقول موافق، أنا عايزة أروح لوحدي، يمكن أقدر أفضّي دماغي المليانة بعمر الوجع ووجع العمر.

- جامدة دي عمر الوجع و وجع العمر.

- اتريق وخد راحتك بس هاخد الشقة، وانت تاخد راحتك، إيه رأيك؟

- هاتقلبيها غم ليه؟ باهزر معاكي .

بجدّية وتحدّي:

- بس أنا مش باهزر، هاخد الشقة، أو خلاص خدتها فعلاً، لأني متأكدة مش هاتصمد للآخر عشان التقيل جاي.

رد فتحي بحسرة :

- أتقل من كده؟

- للأسف آه، بس إنت طول عمرك السكينة سرقاك.

- أنا بحاول أكون إنسان جديد.

- إيه هاتبطل السجاير زي شعبولا ؟

أخذت تغني بمرارة:

- هابطل السجاير وأكون إنسان جديد، ...

قاطعها بحزم :

- هاتغني ومش هانتفق إننا نروح نقعد ع النيل سوا.

- موافقة بشرط، إن كل واحد يبقى في حاله لا حوار ولا حتى متابعة، يعني كل واحد يبقئ سارح في ملكوته.

- أوكي ولو إني مش عارف هدفك إيه؟

- مش مهم، يللا بينا.

آه يا نيل.. آه يا ليل.. ما أجملك يا ليل في النيل، وما أروعك يا نيل في الليل... لنيل مصر سحره وأسراره ..... وكذلك ليل مصر له سحره وأسراره.. صفحة مياه النيل المتلألئة تسمعك وأنت تتحدث إليها.. سماء الليل المرصعة بالنجوم تنصت لحديث قلبك وروحك.. كليهما بعد الإنصات إليك يطوي ما سمعه منك داخله ويخفيه .. وإن عدت إلى أي منهما لن يمل حديثك..... يحق لنا القول أن لليل نيل وللنيل ليل.

نجوان لجأت بروحها إلي النيل في ليلته لتشكو إليه قلة حيلتها، فكم هي ضعيفة أرهقتها الحياة، وما رحمت ضعفها، وما كان عليها سوى ارتداء قناع من الحديد حتى لا تنهار ضعفًا بل لإخفاء ذلك الضعف الذي يزداد مع ازدياد الأحداث المتلاحقة في حياتها، فالفرح فيها قد غاب وضل الطريق لتتصدر التعاسة كل ملامحها، لتحوم حولها، ترقص وتؤكد لها أنها لن تبرحها بعدما طاب المقام عندها.

ظلت تشكو إلي النيل ما بالنفس علّه يهديها أو على الأقل يدعمها ويشد من أزرها، لطالما شكت إلى ليل القاهرة والرياض ما فعلا لها أي شيء، بل كان يرقب ما كانت تعانيه ويذهب غير مبالٍ، ثم يعود كما ذهب، لذا تشعر بعدم

الرضا في ساعاته التي ما أنصفتها، وظلت ترى والتخاذل منهما وفيهما يستمر .

مرت ثلاث ساعات علي فتحي على كورنيش الليل يرافقه الليل لا يشغل باله سوى كيف يسترد التنازل الذي وقع عليه، وكأنه وقتها كان غائبًا عنه الوعي، وعليه أن يتصرف بحكمة وذكاء حد المكر والدهاء؛ حتى لا يخسر نجوان التي يحتاج لها في الوقت الراهن والتي لولاها لأصبحت حياته كئيبة، تنهار فيها كل آماله في استرداد عافيته، استعرض كل معارفه من أقارب وأصدقاء ما وجد واحدًا منهم سأل عنه في محنته حتى باتصال هاتفي، أدرك أن نجوان كانت على حق عندما قالت له مرات أن ما يجمعه مع الجميع مصالح فحسب إذا انتهت تنتهي معها علامات القرب والمودة الزائفة.

تحرّك فتحي بكرسيه المتحرك حيث تجلس نجوان على بعد خطوات وقال لها برفق:

- يللا بينا يا نوجة نروح البيت كفاية كده.

- ما نقعد شوية؛ الجو جميل وفرصة للتنفيس.

يعلو صوته:

- يا ست أنا تعبان من القعدة، إنتي ما تعبتيش؟

- ماتعبتش بالعكس مبسوطة ما صدقت حد يسمعني.

- دخلنا في الفلسفة أهو.

- لا فلسفة ولا غيره هاطلب عربية أوبر تيجي توصلنا البيت.

- بالمرّة نفوت علي مطعم نجيب حاجه كويسة ناكلها تيك أواي.

- حاضر فعلاً أنا جعانة نعدي على مطعم "فلفلة" نجيب سندوتشات فول وطعمية نفسي فيها، ويَا سلام مع باذنجان وكمان بابا غنوج أووووبا.

نظر إليها بقرف قائلاً:

- فول وطعمية؟!

لم تعره اهتمامًا لتتصل بسيارة أوبر.

# (٤)

العاصمة الأوكرانية "كييف" استقبلت الشابين المراهقين التوأمين لدراسة الطب فيها، تلك كانت رغبة الأم نجوان وفكرتها التي أعجب بها الأب فتحي ليتباهى أن ولديه فارس وفهد طبيبين ليس إلا، اندفاعه نحو الموافقة بسبب إغراء السعر الرخيص للإقامة وكذلك التعليم هناك، وبدون شرط المجموع الدراسي الذي أخفق فيه ولديه مع عدم متابعته لهما أثناء الدراسة الثانوية بالمملكة السعودية حيث الإقامة والدراسة بها، بينما فعلت الأم نجوان كل ما في وسعها حتى يجتازوا هذه المرحلة بأية نتيجة.

"كييف" مدينة مبهرة من كل النواحي لفتت انتباه التوأمين بما فيها، وهما القادمين من مجتمع مغلق، لا مجال فيه للترفيه والانحراف المتوفر في كل شبر من مدينة الإقامة لمدة خمس سنوات، يرتعان فيها كيفما شاءا دون

رقيب بالمنزل علي الأقل من قبل الأم الصامدة، ودون أي محاسبة، فكل ما كان ممنوعًا خارج المنزل أصبح مباحًا.

لما كانت "كييف" التي تقع شرق أوروبا بمساحتها الكبيرة والتي تقع على نهر" دنيبر"، مما جعل فيها الطبيعة خلابة تبهر الزائرين، هي أيضًا مدينة المعالم التاريخية والثقافية التي لا تقدر بثمن، فهي مدينة الأحداث العظيمة والشخصيات البارزة.

قرأ الشابان فهد و فارس عنها قبل وصولهما إليها وقد أرسلت إليهما الجامعة التي تقدما للدراسة بها بعض الكتيبات والخرائط والمعلومات التفصيلية عن المدينة، وقد يكون الواقع أسوأ لذا عليهما الاختيار فهما سيدا قرارهما دون وصاية أو حتى عائل.

بينما هما في الطائرة أثناء الرحلة من الرياض حتى كييف في سعادة بالغة لكونهما هربا من إزعاج الأب لهما وقت أي حوار بينهما وتسلّطه برأيه، وأيضًا سلبية الأم التي تبدو دائمًا مغلوبة على أمرها، عاجزة عن مواجهة تسلط الأب، دار حوار بينهما :

- أخيرًا يا فهد فلتنا خمس سنين بحالهم، بعدها يحلها الحلال، نعمل كل اللي نفسنا فيه وننطلق.

فهد يحملق في توأمه فارس بنظرة بريئة، وكلاهما ذو السابعة عشر ربيعًا ويقول في هدوء:

- اللي شاغل بالي دلوقتي إزاي قسوة بابا وصلت لدرجة أنه ببساطة يسيبنا نسافر لوحدنا لبلد زي أوكرانيا، وكل اللي عمله، وهو بيوصلنا للمطار قالنا خلي بالكو من بعض عايزكم رجالة تشتغلوا وتدرسوا عشان تجيبوا مصاريفكم وتعرفوا قيمة القرش في حياتكم .

- أنا مانستش دموع ماما وقتها وهي بتقوله: يا فتحي مش مطلوب إنهم يعملوا حاجة غير الدراسة، ودي مسئوليتك إنت لغاية ما ياخدوا شهادتهم، الغريب أنه يرد عليها بعصبية: هما يعني أحسن مني؟ ما أنا كنت طالب و طالع عيني في الشغل وقت الدراسة، وقتها ماما بصت له بغضب، ونفسها تقوله: كفايه بقى الأسطوانة دي اللي خنقتنا وإنت بتسمعها لنا غصب عننا.

رد فارس وقد تأزم :

- ممكن بقى نقفل على النكد ده، ونفكر هانعمل إيه في كيف اللي بيقولوا عليها بلد السحر والبنات المُزز اللي يحلوا من على حبل المشنقة؟.

رد فهد وقد اعتدل في قعدته وتحدث كأنه الخبير:

- فاروس حبيبي، إنت كده جيت في الحتة بتاعتي، إحنا بقى نتقل ع البنات وننقى منهم بالراحة وما تخفش هايبقوا بالهبل، بس إنت بقى تسمع كلام أخوك الكبير وإنت هاتكسب دايمًا.....

تجهم فارس معترضًا ومقاطعًا:

- إنت من أولها هاتترسم عليّا وتعمل كبير؟! يا ابني الفرق بيني وبينك خمس دقايق في الولادة، بلاش بقى تعمل فيها جدو، والأب الروحي و الحركات دي.

- طب يا سيدي ما تزعلش، بجد ماقصدش، اللي أقصده نكون رأي واحد، وعشان أثبتلك حُسن نيتي أديك مثال، يعني لو وقعت قدامي بنت مافيهاش غلطة على طول هاقولك هي دي يا فارس ويللا نكافح.

- لا لا لا أبدًا، ماينفعش خالص كده، إحنا توأم آه، بس إلا في دي، إنت غريب صحيح بتقول إن فيه مُزز بالهبل وأشاركك في واحدة؟! إحنا من أولها كده نفكر بخيابة ؟ نتبادل آه نتشارك لأ.

فهد منبهرًا:

- يخرب عقلك يا فارس، دا انت طلعت جامد، بس انت عرفت الحاجات دي إزاي، مع إننا ماكناش بنفارق بعض؟

- كان فيه شوية عيال في الفصل معايا كانوا بيسافروا في الصيف أوروبا وبلاد تانية مع أهاليهم، كانوا بيحكوا لبعض وأنا قاعد طربوش أسمع بس، يللا بقى عايزين نحط خطة قبل ما نوصل نرفه عن نفسنا من الخنقة اللي كنّا فيها.

- أهو كده جيت للجد، شوف يا توأم الروح والجسم، إحنا أول ما ننزل المطار، نروح نستلم السكن، ونرمي الشنط يا دوب ونتغدا من الوجبات اللي ماما عملاها لنا بعدها نطلع طيران علي معالم كييف وهانقابل في طريقنا الحلو كله.

- هي دي كده خطة؟! هاقولك أنا بقى اللي أقصده حسب معلومات قريتها عن كييف، إحنا نزور دير القديس"سيريل" مكتوب عنه إنه مبني من القرن ال١٢، ومتحف المياه، كمان متحف "تشيرنوبل الوطني".

- عندي فكرة تعجبك، إحنا دلوقتي معانا فلوس نجيب بنت مرشدة سياحية حلوة تكون بتتكلم عربي تلف بينا وتفرجنا على كل المستخبي، كده نبقى ضربنا عصفورين بحجر نتفرج ونلاغي إيه رأيك؟

- قشطه يا مان"جف مي فايف"، ها ها ها

بصوت مرتفع:

- والله وهانبقى سيّاح يا مان ها ها هاااا.

نجوان منذ لحظة سفر ولديها التوأمين، ما جفت لها دموع، وما انقطع لها دعاء بينما والدهما فتحي عاش في أحلام أنه أبو الأطباء، وقد عقد العزم علي إرسال ولده الثالث " فريد" فور انتهاء دراسته الثانوية في مصر بعدما أصرعلي ترحيله للإقامة مع عمته بدعوى أن التعليم في مصر أيسر، وبعدها يلتحق بأخويه لدراسة الطب أيضًا ليكونوا له الجاه الذي يفتقده، وتزيد أحلامه في فتح مركز طبي استثماري يُعالج فيه علية القوم لتزداد معارفه من الوجهاء والأثرياء.

ردت نجوان والصوت منها متقطع وينفطر حزنًا :

- أنا شايفاك مبسوط ولا على بالك، كأنك شمتان في ولادك اللي سافروا يتغرّبوا وهما لسه أطفال مايعرفوش حاجة في الدنيا.

فتحي منفعلاً:

- سبحان الله في طبعك يا نجوان، حقك تفرحي مش تقلبيها نكد كدا، وتقولي للدنيا كلها ولادك سافروا يتعلموا الطب في أوروبا، وإن أبوهم صرف عليهم دم قلبه عشان يبقوا دكاترة لهم وزن، فرصة كمان يشوفوا الدنيا مش زينا، عشنا الفقر في مصر، وأدينا في السعودية مش عارفين نشم نفسنا زي

الخلق، قاعدين بس عشان نجمع فلوس، ويا ريت عارفين نجمع فلوس عليها القيمة، وعلى يدك شايفة أنا صرفت كام عليهم لغاية ما سافروا.

نجوان تحدثه بعصبية:

- ارحمني بقى هاقولك من غير زعل، إنت اللي كنت عايش الفقر في مصر مش أنا، ولما جيت هنا مهما جمعت من فلوس، عمرك ما حمدت ربنا، ولا حتي قولت معاك كام، سرك مع نفسك، والمصيبة إنك تحسب المصاريف اللي صرفتها على عيالك في تعليمهم وتوصيهم في المطار إنهم يدرسوا ويشتغلوا عشان يصرفوا على نفسهم، ارحم بقى يا أخي وافتكر إنك أب و.....

يقاطعها بحدة حتى لا تزيد :

- كلامك كله غلط، أنا ماحرمتكمش من حاجة، ومعظم اللي باقبضه بيتصرف عليكو، عشان كده مش عارف أحوّش، ثم بعدين مش عيب لما أكون عايز ولادي يبقوا ناشفين ورجالة في الغربة ويطلعوا لأبوهم اللي عمره كان طافح الدم من صُغره.

- إنت مافيش فايدة فيك يا فتحي، دا انت مرتّبك كله متحول على البنك، والفلوس اللي بتقبضها من جماعة الدعوة بتصرف علينا منها بالتيلة، والباقي بتضيفه على حسابك،

وطبعًا عامل شُغل هايل مع الجماعة عشان كل شوية يعطوك مزيد، وإنت بلسانك قايلي إنك قولتلهم إن ولادك هايتعلموا في أوروبا، وظروفك صعبة، وقعَدت تمثل لهم الفقر لغاية ما عطوك مبلغ كويس، ربنا ينجينا منك ومن أفعالك.

- رزق وجاي، أقول لأه؟ أما تفكيرك غريب صحيح.

- تجوع الحرة ولا تشحذ بثدييها.

- حلوه ثدييها دي، عشان ما نتخانقش أنا مزاجي حلو فرحان بالعيال لما سافروا، هاقوم أجهز نفسي في خطبة موضوعها " وبشر الصابرين"، سلام.

- اللهم اجعلنا منهم، بركاتك يا مولانا، وعليكم السلام والرحمة الشيخ الجليل فتحي أبو فهد، نجينا يا رب.

في قلب مطار كييف الدولي ينتشر كل من له علاقة بالسياحة علي مدار الساعة خاصة عند علمهم أن رحلة الطائرة قادمة من الشرق الأوسط عامة ودول الخليج خاصة، القادمون في هذه الرحلات أكثر السياح إنفاقا، لذا لزم العناية الفائقة بهم، الكل في حالة نشاط غير عادي و أمل في الدولارات التي تنفق حد البذخ، حشد من سائقي

السيارات ومندوبين الفنادق والمرشدين السياحيين وكذلك العاهرات، الجميع مبتسمًا قائلاً: بريفيت "مرحبا".

استقبل "فهد" وشقيقه " فارس" مندوب إدارة الجامعة استدلوا عليه من خلال لوحة تحمل اسميهما باللغة العربية، اصطحبهم بالسيارة إلي حيث مبنى الإقامة المقرر لهما، كلا منهما ينظر من خلال النافذة منبهرًا بما يراه من أبنية راقية الطرز وفتيات أيضًا فائقة الجمال، سأل فهد مندوب الجامعة عن عنوان تواجد مرشدين السياحة في كييف طمأنه أنهم موجودون في كل كل ميدان، دخلا مكان المبيت الذي يشبه عنبر المساجين، فالأسرّة فيه دورين فلم يكترثا ولم يعترضا.

انتهت الإجراءات سريعًا، خرجا يتنفسان نسيم التحرر والانطلاق إلى اللامعلوم، في أول ميدان قرب موقع الإقامة لمحتهما فتاة جميلة الملامح رشيقة وأنيقة، بذكاءها توقعت من ملامحهما أنهما عربيان، أقبلت عليهما مرحبة لتعرض عليهما المُصاحبة بمقابل أجر لكل ساعة مع تموين سيارتها بالبنزين واتفقوا.

فارس يفحصها بعناية ويسألها:

- إنتي عربية؟

- لا أوكرانيا وتعلمت العربية في الجامعة بكلية اللغات الشرقية، اسمي"إيلينا" الإرشاد السياحي مهنتي، وأنتما من أين؟.

فارس مبتسمًا وسعيدًا بجرأتها التي ما ألفها من قبل:

- أنا فارس وأخويا فهد أصلاً مصريين وعايشين في السعودية؛ وإحنا توأم، جايين ندرس الطب هنا، لسه واصلين كييف، وما نعرفش حاجة فيها، عايزينك بقى تفرجينا وتعرفينا عليها.

- مرحبا بكم في كييف مدينتنا الجميلة، بداية الجولة ممكن تستغرق أربع ساعات على أقل تقدير، من فضلكم دفع المصاري الخاصة بالوقت قبل التحرك بالدولار.

فهد دفع لها

-، شكرًا جزيلاً لك، تعالى أنت واركب بجواري.

- أوكي، يللا نتحرك.

رد فارس في غيظ:

- من أولها كده؟ شوفي بقى يا إيلينا فهد جنبك ساعة وأنا ساعة عشان العدل وعشان كل واحد يشوف البلد كويس.

قهقهت إيلينا وقالت:

- أوكي فروس، نبدأ الأول بفكرة عامة عن كييف عاصمة أوكرانيا، جغرافيًا كييف تنتمي إلى منطقة مشتركة كجزء من الغابة الأوروبية المختلطة، المشهد الفريد للمدينة يميزها عن المنطقة المحيطة بها، كييف تقع على جانبي نهر دنيبر الذي يتدفق جنوبًا عبر البحر الأسود، والضفة اليمنى تمثل جزء من المدينة من قبل عديد من التلال الخشبية والوديان والأنهار الصغيرة و .....

فارس يصيح من الخلف:

- صبرًا صبرًا، على مهلك شوية ماتعمليش زي مدرس الجغرافيا اللي كرهت الجغرافيا بسببه.

ردت إيلينا بهدوء:

- حسنا فروس، أنا سكوت، إنزل هنا فهود بليز هات لنا عصائر وشيكولاتة من الماركت ده ومياه باردة، الجو حر في شهر يوليو هنا في كييف والرطوبة أيضًا مرتفعة، بسرعة بليز فهود.

فهد وكأنه مستسلم تمامًا:

- أوكي إيلينا ثواني.

انتهز فارس فرصة تواجده بمفرده مع إيلينا، وأراد أن يطرح عليها بعض الأسئلة، خاصة أنه كان يتابعها أثناء القيادة من المرآة الأمامية ومرآة الجانب، فلا حركة لها إلا ورصدها ليزداد إعجابًا بها، خاصة أنها تتصرف على سجيتها فسألها:

- إنتي متجوزة إيلينا؟

- لا.

- مخطوبة؟

- لا، لكن عندي صديق.

- يعني إيه صديق بالنسبة لك؟

- له كل الحقوق عندي، ولي كل الحقوق عنده، الجزء الوحيد المختلف عن الزواج الرسمي هو مراسم الكنيسة.

- طب ده اسمه إيه؟

- زواج اجتماعي.

- ممكن أبقى أشوفك وحدنا، يعني أنا وإنتي؟

- ممكن جدًا، مافيش مانع، حدد موعد، وأنا أبحث في ظروفي، هذا كارت شخصي فيه رقم هاتفي.

ثم نظرت إليه ما عرف بعدها أين رأسه وأين قدميه.

يحضر فهد وقد أحضر كل طلبات إيلينا، وأضاف بعض العصائر والآيس كريم وقال:

- تعالى مكاني أبو الفوارس مع إن لسه ناقص عشر دقايق على ميعادك.

- قشطة يا مان، طول عمرك جنتل ومجدع، انطلقي إيلينا كمّلي، زيدينا معلومات عن كييف.

- قشطة يا مان ها ها، أكبر جزء من مرتفعات دنيبرعلي الضفة الغربية للنهر، أما الضفة الشرقية لنهر دنيبر أراضي منخفضة.

قال فهد متسائلاً:

- على كده فيه مسلمين هنا إيلينا ؟ وأحوالهم إيه؟

ترد إيلينا بحرص عن عمد:

- الديانات الرئيسية الثلاثة في أوكرانيا عامة، وكييف خاصة، بالترتيب حسب المعتنقين لها، الرومانية الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية ثم الإسلام، هنا فيه الإداور الدينية لمسلمي أوكرانيا دي الممثل الرسمي للمسلمين في أوكرانيا يرأسها علي ما أعتقد شيخ اسمه "أحمد تميم" يقال عنه

مفتي المسلمين في أوكرانيا، تعالو هانزور حالاً مسجد "الرحمة" أكبر مسجد في كييف، تدخلوا إنتم وأنا منتظرة هنا لأنني لا أملك غطاء للرأس، استمتعوا يا شباب.

فارس مبتسمًا ابتسامة عريضة ويقول:

- إيلينا بجد قد إيه إنتي جميلة.

- شكرًا فروس " داكيومو" وانت جميل أيضًا يا عزيزي.

ابتسامة ناعمه لها معنى-، "لازوش تتشيم" إشارة باليد تعني إلى لقاء .

في الرياض أم التوأمين نجوان امتلكها الرعب، وبدأت تحدث نفسها، وتلوم تفكيرها المحدود بأنها دفعت أبوهما الذي لولاها ما فكر أبدًا في أن يتعلما بالخارج، حتي لا يدفع لهما نفقات السفر ورسوم التقديم للجامعة وأيضًا مصروف جيب لهما، بل كان يفكر لهما في البحث عن عمل داخل الرياض ليبدءا حياتهما العملية مبكرًا، فمبلغ سعادته أن يكون لكل منهما رصيد بنكي ينمو مع عمرهما، بل زاد فوق هذا، أنه بدأ التخطيط أن يزوجهما من فتيات سعوديات، كي يصاهر من خلالهما، الشيوخ الذين لهم وزن في المجتمع

السعودي، أو رجال أعمال يعيش في كنفها ولديه حياة الأمراء.

دخل منزله شبه متسلل متمنيًا ألا يلتقي بزوجته نجوان فإذا بها جالسة غير نائمة كما توقع، ونادت عليه وتقول:

- طبعًا ولا على بالك، العيال ما اتصلوش يا فتحي زي ما اتفقت معاهم، كان المفروض يتصلوا من المطار يطمنوني عليهم، قلبي متقطع عشانهم، ابتديت أخاف، والشيطان عمال يشتغل على تفكيري، أستر يا رب.

يرد فتحي ببرود:

- أديكي قولتي الشيطان بيشتغل عليكي، يعني اطرديه ونامي، أنا جاي تعبان من الدروس اللي كنت بعطيها للجمهور والتفاعل معاهم، شيء حقيقي كله إجهاد محتاج عافية وتغذية كمان.

- ماهو حرام عليك تسيبني في ناري كده وتنام.

- النار إنتي اللي مولعاها في نفسك، طفيها وقومي نامي.

- غصب عني، دا أنا أم يا فتحي، ولادها اللي كانوا في حضنها ليل ونهار، سمعاهم شايفاهم، بتاكل معاهم، بتخرج معاهم، بتحكي معاهم، فجأة كل ده مش موجود، لا سامعة

حاجة ولا شايفة ولا حاسه بيهم، راحوا منها وبمزاجها، تقعد وحدها تكلم نفسها، وهما ولا على بالهم، قلوبهم قاسية زي أبوهم.

فتحي يقاطعها متأففًا:

- هاتحودي عليّا ع المسا، أقفي لحد هنا الله يصلح حالك، كنت برّه مبسوط ومش مستعد لعكننه، أدخل أنام أحسن، تصبحي على خير.

تنفجر نجوان في البكاء الحار وتردد:

- " لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ".

# (٥)

حرصت نجوان كل عام على أداء فريضة الحج، أو على أقل تقدير ثلاث عمرات سنويًا، رؤيتها الخاصة أن هذا عوضها الكثير عما تلقاه في حياتها العائلية غير المستقرة مع زوج له أفكاره وطموحه حسب هواه، وليست قائمة على المبادئ والقيم الحقة التي تحوي ما خُلق الإنسان له، فالأمر بالنسبة لنجوان بات يسيرًا، ما هي إلا ساعات قليلة من الرياض، وتجد نفسها أمام الكعبة المشرفة تخُر ساجدة لتسقط معها الأحزان عند السجود، وتقترب من رب البيت بإيمان بما في كلماته سبحانه جلا وعلا " اسجد واقترب" ، وعندما تطوف وتسعى ثم تهرول فتخفف أحمالها حين تبعثرها من جسد أنهكته مزعجات الحياة.

اليوم التالي لسفر التوأمين إلي أوكرانيا شعرت نجوان بالحنين لزيارة بيت الله الحرام لتبث شكواها إلي رب البيت

فتذرف دموعها إلي من لا يغفل ولا ينام ولا يستهين بدعاء عباده المكروبين، فلجأت إلي فتحي تطلب عونه في صحبتها بسيارته الفارهة المريحة وقالت له بعد الغذاء معا وهذا الأمر أصبح نادر الحدوث، كونه دومًا يتناول وجبة الغذاء خارج المنزل في ضيافة الشيوخ والأمراء، وأحيانًا وجبات جاهزة من مطاعم عالمية على نفقتهم أيضًا، وللبيت رب يحميه، سألته عن رأيه في مذاق ما قدمت له فقال:

- كويس بس ناقص بهارات تخلي طعمه ألذ، الكبسة في طبخها لها أصول يا نجوان، إنتي محتاجة تسألي ستات عشان تعرفي تطبخي كويس، والا أقولك ريحي نفسك من الطبيخ وأنا هاتصرف، واطبخي على قدك عشان المصاريف والأكل ما يترميش، ركزي بس في نضافة البيت لأني شايفه مش نضيف، كان معاكي اتنين ستات بوسنيات كانوا مخليين البيت زي الفل، اتبطرتي ع النعمة وما ارتحتيش إنتي وولادك إلا لما طلقتهم واحدة ورا التانية و....

تقاطعه مع نظرة حنق :

- آه تقصد كانوا مدلعينك، طفاسة رجالة، هو أنا كنت قصرت معاك؟ غير بس تغيير ألوان وأشكال، وكنت عايز تفهم اللي حواليك إن ده كان ابتغاء مرضاة الله، ونسيت إني كشفت ألاعيبهم معاك عشان يبتزوك، وبالنسبة لهم كنت مجرد فلوس يبعتوها لأهاليهم في البوسنة، وكمان ياخدوا الإقامة

على قفاك وبعدها يزهقوك عشان يشوفوا حالهم في السعودية شُغل وغيره، دا إنت بدل ما تلومني، حقك تشكرني وتشكر ولادك اللي أثبتوا لك ألاعيبهم، ما علينا، عايزاك في موضوع أهم.

ينظر إليها فتحي ممتعضًا:

- قولي عشان عندي ارتباطات.

- نتوكل على الله، ونعمل عُمرة فجر النهارده بالعربية، ونرجع بكره، فرصة أخفف عن نفسي حملها، وحالتي المخنوقة بعد سفر الولاد.

- أشوف ظروفي و يصير خير.

- بالله عليك يا فتحي اعزم وتوكل، تاخد ثواب عُمرتك وثواب عُمرتي على أنك وفرت لي وسيلة السفر، وإنت عارف ده كويس " من جهز غازيا فقد غزا ".

- ده حديث فيه اختلاف، ومع ذلك هاشوف وأقولك، ما تنسيش الجو حر جدًا الأيام دي، وإنتي عارفاني مابتحملش الحر.

- عشان كده بقولك نعملها الفجر ونرجع على طول والعربية مكيفة، يعني مش هاتحس بحرارة الجو، واطمن مش

هاتتكلف ولا ريال، كل حاجة جهزتها، حتى الأكل والشرب وكل احتياجات السفر، يللا بقى فرصة تدعي لنفسك وأولادك، والله قلبي واكلني عليهم، حاسة بحاجات كده هايشوفوها وتتعبهم، وهما يا عيني مالهومش خبرة خالص في أي حاجه، والله تعبانة تعبانة.

تنهمك في بكاء حار و نحيب.

- طب خلاص خلاص، جهزي نفسك وأخلص مشاويري وأتصل عليكي ونسافر مكة بالليل، بس مش عايز عطلة، يعني يا بخت من زار وخفف، وإلا أسيبك ترجعي لوحدك.

تنظر إليه بضيق و تقول:

- عارفاك تقدر وتعملها.

- عليكي نور، كل حاجة وحشة سهل تطلع مني، أنا هادخل أريّح شويّة عشان السفر، مع إني مش متحمس، بس عشانك المرّة دي.

فهد وفارس فور انتهاء جولتهما حول جزء من العاصمة الأوكرانية كييف، رجعا إلي حيث إقامتهما بسكن الطلاب المغتربين والمنتسبين إلى الجامعة، اتفقا مع الفتاة إيلينا

المرشدة السياحية أن يكونا معها علي اتصال؛ لتأخذهما في جولة أخرى حول باقي العاصمة، وإن كانا سعداء بهذا الإنجاز إلا أنهما تخوفا من قلة المال المتبقي معهما كمصروف جيب؛ فعليهما التأني عند الصرف لعلمهما أن أباهما لن يجود عليهما بالكثير منه.

إستيقظا من نومهما، وبدت ملامح كل منهما كخليط بين سعادة الحرية والتحرر، وخوف من معاناة محتملة خلال فترة الإقامة في بلد بعيدة وغريبة في عاداتها، قد تقذف بهما وبأحلامهما إلي حيث لا يدرون النهايات فيها، مع لقاء التعارف في القاعة الكبرى للجامعة تم الترحيب بجميع الطلاب المغتربين القادمين من شتى الدول النامية وغير الثرية، أعلن المحاضر أن العام الأول للطلاب ستكون الدراسة فيه تقتصر علي تدريس اللغة الأوكرانية وبعض المواد التنويرية العامة، على أن يتم تدريس التخصص في العام الذي يليه، تم بعدها تلاوة مبادئ الجامعة وقواعد العمل بها، والتحذيرات الواجب مراعاتها من كل طالب حتى لا يتعرض للائحة العقاب الخاصة بالجامعة.

جلس التوأمان فهد وفارس في حديقة مبنى إدارة الجامعة المنسقة بشكل بديع، ألوان الزهور فيها تبعث الراحة في النفوس، مع بعض تماثيل تتناسب مع تقديس العلم والعلماء، الطقس العام تشعر معه أنه ربيعي، رغم أنه

الصيف، وبرغم هذه البيئة والجمال المحيط بها، إلا أن التوأمين لم يشعرا إلا بالحيرة تخنقهما، والخوف يلف العقل منهما.

بدأ فهد حديثه إلي توأمه :

- فروس أخويا، ماينفعش أخبّي عليك، أنا مرعوب، مش عارف أشوف مستقبلي رايح على فين، كل حاجة مخوفاني، كنت فاكر أول ما بابا وافق على سفرنا إننا رايحين الجنة، وإن الفرصة جت لنا نتحرر من المحاسبة والتحقيقات مع أي تصرف نعمله، كنت بابص لخوف ماما عليّا وتحذيرها ليّا من ومن على إنه نوع من التدخل اللي مش حقها وإنها مش عايزة تعترف إني كبرت وليّا عقلي ومفاهيمي اللي ممكن أفكر بيهم أحسن منها، وعليها بس إنها تناقشني عقل بعقل، وتسيبني أخد قراراتي حتى لو غلط، تخيل يا فارس، وحشتني قوي، والله بحبها قوي، بس كنت خايب ماعرفتش أقولها قبل ما أسافر.

تنزل منه دمعتان نزفتا برغم المقاومة

- مش كده يا مان، خلينا نتماسك ونجمد عشان الأيام هنا تعدّي على خير، مع إن مش باينة زي ما انت قلت، لكن تعالى نحسبها ببساطة، العيشة هنا أيا كانت أرحم من العيشه مع بابا وتدخلاته الفظة ونصايحه التافهة اللي

مالهاش علاقة بالمنطق، وعمومًا مافيش حد بيختار أبوه، وإنت عارف إننا ما اتعلمناش منه حتى أبسط مبادئ الحياة، دا لولا ماما اللي فعلاً تستحق حبنا قعدت تقرا وتثقف نفسها في كل المجالات عشان تعرف تربينا وتثقفنا في مجالات كتيرة، كان زماننا مانختلفش عن البهايم غير في عدد الرجلين، بس خلينا يا صاحبي نفكّر بشكل عملي، و نتعايش مع واقعنا حتى لو كان مر، لو عايز رأيي إحنا نحاول مع بابا يدعمنا بفلوس ونتحايل عليه زي ما هو بيحب، كمان نمسك أيدينا في المصاريف، وفِي نفس الوقت أنا هادور علي شُغل من النهارده، إن لقيت شُغل يبقى بقى مش عايزين منه حاجة، وممكن حتى ننقطع عن السؤال عنه، أما ماما دي روحي في جميع الأحوال، ومهما حصل، وبشكل عملي جدًا نكلم بابا بالتلفون بالليل ونفهمه الحال هنا، اتفقنا، خير ما اتفقناش يبقى عرفنا مصيرنا من أول غربتنا.

كان فهد منبهرًا جدًا بتنظيم أفكار توأمه:

- يا أخي ساعات أحس إنك أبويا في تفكيرك وخوفك عليّا.

فارس مقلدًا لصوت أبيه:

- بس يا ولد، اسكت ولا اسمع حسك، هو انت فاكر نفسك كبرت عليّا، إنت تسمع خبراتي في الحياة وتنفذ، الدماغ دي

اتكلفت يا ولد، ها ها ها، ألا صحيح دماغه اتكلفت كام؟ بالريال والا بالجنيه المصري، ها ها ها .

فهد وقد سقط على ركبتيه من الضحك ولم يتمالك نفسه:

- دا إنت مصيبة يا فارس، لو سمعك بابا، يبقى اطمن مافيش ولا ريال هناخده منه ها ها ها.

- بص بقى يا مان أنا هاسيبك دلوقتي، أروح الميدان اللي جنبنا أشوف "إيلينا" عشان تدلني إزاي ألاقي شُغل في كييف، وأرجعلك عشان نكلم بابا في التليفون.

فهد ينظر إليه طويلاً غامزًا له بعينه اليمنى ويقول:

- ماشي يا أبو الفوارس، هاعمل نفسي عبيط، بس أنا واخد بالي إن السنارة غمزت، الله يسهلك يا سيدي، بس أرجوك خلي بالك من نفسك، وما تنساش إن إحنا في غربة، وعضمنا لسه طري، أنا هاستناك هنا، أكتب ذكرياتنا في اليوم الأول.

- قشطة يا مان، سلام السلام.

لم يبحث فارس كثيرًا عن "إيلينا"، وجدها في نفس مكان الأمس حيث أول لقاء جمعه وفهد معها، نظر إليها والإبتسامة تملأ وجهه البرئ وقال:

- كيفك إيلينا ؟ المصريين بيقولوا وحشتيني.

- وأنت ماذا تقول؟

- أقول وحشتيني قوي ها ها ها

- أنا معجبة بذكاءك يا فارس وأيضًا لباقتك.

- أنا بقى معجب بيكي كلك.

- أعلم ذلك جيدًا من نظرات عينيك، لكن قل لي لماذا أتيت تقابلني غير إنني وحشتك مثلما يقول المصريون ها ها.

- بصراحة أنا عايز اشتغل هنا في كييف، محتاج أجيب مصروفي أنا وفهد أخويا عشان ما نعتمدش علي بابا خالص، ونثبت له إن إحنا بقينا رجالة.

- العمل هنا يا صديقي ليس بالسهل الحصول عليه، المتوفر من العمل أنواع مهينة وشاقة قد لا تتناسب معك، ومن ناحية أخري قد يستغرق عشر ساعات عمل يوميًا، هذا قد يشغلك عن الدراسة.

- بالنسبة للوقت السنة الأولى في الدراسة عبارة عن لغة ومواد دراسية سهل تحصيلها، ممكن أخويا فهد يساعدني فيها.

- رائع أن يكون هذا شعورك تجاه شقيقك، لذلك أنا معجبة حقًا بشخصك يا فروس.

تبتسم ابتسامة حلوة غطت وجهها ليزداد جمالاً

- على أية حال سأبذل قصارى جهدي للمساعدة، قم معي الآن نصل إلى موقع قد نجد فيه ما نريد، إن حدث ما أتوقعه مؤكد سوف تكون محظوظًا، وقتها أرجو ألا تنساني وتعتبرني شريكة لك، عدني بذلك.

- أوعدك أيلينا.

تحركت بسيارتها نحو منطقة نائية بها مبنى قديم لا توجد به أية لافتات، ولا ينم عن أية نشاط من الخارج أو الداخل، دقت جرس باب أحد الشقق، فتحت لها الباب سيدة مُسنة رحبت بها، من الواضح أنها تعرفها جيدًا، ثم تدخلها مكتب به شابة حسناء تقدم لفارس مستند تعارف باللغة العربية يكتب فيه كل بياناته ونوع العمل الراغب فيه، سأل فارس إيلينا :

- إيه المكان ده إيلينا ؟

- ده يا عزيزي مكتب خدمات الشباب العرب في كييف، يقدم لهم خدمات متنوعة من أجل مواجهة العيش في أوكرانيا.

تترجم إيلينا كلام السكرتيرة لفارس أنه سوف يتلقى الرد بعد أسبوع، عليه أن يسأل مرة أخري بنفسه بالحضور إلي نفس المكان، الجميع يتبادل التحية، وتقوم إيلينا بتوصيل فارس إلي الميدان علي وعد اللقاء الأسبوع القادم نفس التوقيت، يعود فارس حيث ينتظره شقيقه فهد في الحديقة والبال مشغول، حضور فارس أزال القلق الذي انتاب فهد ليسأله متلهفًا:

- خير يا مان، طمني عن مشوارك اللي كان قالقني شوية، ما اخبيش عليك.

حكى فارس لشقيقه فهد كل تفاصيل مشواره منذ لحظة مغادرته له حتى عودته، أثناء حديثه لم يفتح فهد فمه بكلمة واحدة، اللهم بعض تعبيرات الوجه دون قصد، وأحيانًا خياله يسرح برغم تركيزه، خاصة أن أمهما كانت تشتري لهما روايات الكاتبة "أجاثا كريستي" فكان لها الأثر في تكوين فكرهما المستنير و الباحث عن حلول ألغاز الروايات، فسأل فارس بعض الأسئلة قد تكون من وجهة نظره هامة وحيوية:

- طب اشمعنى يا فروس اهتمام المكتب ده بخدمة الشباب العرب بس، مع أن أوكرانيا فيها جميع الجنسيات تقريبًا؟! وكمان لما دخلت المكتب، ما قابلتش ولا واحد عربي فيه، واللي ترجمت لك حوارهم إيلينا، وبفرض إنهم من دولة

عربية غنية تقدر تصرف على الخدمات، مش قادرة تجيب مكتب وسط كييف ؟! إنما المكتب في منطقة متطرفة زي ما قولت، ومكتب زي ده بيقدم خدمات ببلاش يعني أعمال خيرية يبقى ع الأقل يحط يافطة تدل عليه.

- كلامك مقنع يا مان، لكن بلاش خيالك يسرح قوي إن الموضوع ليه أبعاد وأسرار مدفونة، ع العموم هيبان في المقابلة التانية، بس اللي أنا مستغربه إيلينا، أول ما شافتني قالتلي مرحبًا فارس، مع إننا شبه بعض جدًا، وكل الناس بتتلخبط فينا، فاكر يا فهد عمّ نوح المصري اللي كان جارنا في الرياض، عشان كان بيشوفونا مع بعض دايما، لما كان يقابلني لوحدي و يجي يتكلم معايا كان فاكرني اتنين عشان أحول ها ها ها.

- ها ها ها. فكرتني بنكتة قالها لي واحد صاحبي مصري في الرياض بيقولك:-واحد احول أمه ماتت .. قعد يعيط علي خالته - ها ها هئو.

- ها ها هاااااا، المصريين دول فعلاً ملوك الضحك، قوم بقى نستعد نكلم بابا وماما، ده وقت الغدا عندهم.

فهد وقد استعد أن يداهن أبيه ليرضى عنه ويدعمه ماليًا، ويزيد من المبلغ الزهيد الذي قرره، بل واشترط

عليهما أن هذا المبلغ سوف ينقطع عنهما بعد ثلاثة شهور يكونا قد وجدا عملاً ينفقا من أجره علي احتياجتهما كاملة:

- أيوه يا بابا سلامو عليكم، إزي حضرتك ؟ واحشنا والله حضرتك وماما.

يرد فتحي ببرود:

أهلا يا فهد إزيك وإزي فارس، لقيتوا شغل؟

- يا بابا الشغل هنا صعب جدًا، والبلد غالية مش زي ما كنّا متصورين، ولعلم حضرتك إحنا بالفعل بدأنا ندوّر من النهارده، بس تصور حضرتك الفلوس اللي كانت معانا قربت تشطب.

- أفهمها إزاى دى بقى ؟!، أومال لو كُنتُم في فندق؟ دا أنتم في سكن طلبة فيه حتى الأكل والنوم، يبقي كده فيه حاجة غلط.

- طب فارس أهو مع حضرتك.

- أيوه يا بابا فتحي، واحشني كتير ودايمًا في سيرة حضرتك وتعبك معانا لغاية ما وفرت لنا فرصة تعليم في أوروبا، وربنا يقدرنا ونرد لك جمايلك دي.

- شكرًا يا فارس، فيه حاجة تانية ؟!

- أيوه يا بابا، يا ريت حضرتك تزود المصروف وخليه لغاية آخر السنة، لحد بس ما نقف على رجلينا.

- يا ابني هو أنا قاعد على بنك؟ كل المطلوب مني عملته عشانكم ولو قولت لك المبلغ كام هاتتخض وتزعل عليّا.

- عارفين قد إيه حضرتك ضحيت وبتضحي عشانّا، بس حضرتك إحنا في غربة، ولسّه في بدايتها ومالناش حد غير ربنا وحضرتك.

- معاك ماما أهي، كنت في أوضتي بعيد عنها، يللا كلمها بسرعة عشان تمت المكالمة، خدي يا نجوان كلمي فارس بس قصري.

نجوان تتناول الهاتف ويديها ترتعشان، وصوتها يكاد يسمع:

- أيوه يا فارس يا حبيبي، إزيك وإزي أخوك، طمنوني عليكم، كده برضه يا حبايبي تنسوا أمكم وتسبوني أكلم نفسي، إمبارح كله والنهارده كمان.

- يا ماما إنتي وحشانا قوي والله، بقولك يا حبيبتي معاكي فهد أهو.

- إزيك يا ماما، طمنيني عنك وعن صحتك؟ أقولك حاجة ماعرفتش أقولها وأنا معاكي؟

- قول يا حبيب ماما.

- أنا بحبك قوي.

بكاء حار من الطرفين وانتهت المكالمة.

فتحي وجدها فرصة للتنصل من وعده بصحبة نجوان لأداء مناسك العمرة فقال:

- أفتكر كده اطمنتي على ولادك إنهم بخير وزي الفل، عارفة، فهد قعد يشكرني ويقولي مش هاننسى جمايلك علينا يا بابا طول عمرنا، حتى فارس قالي كتر خيرك يا بابا ع اللي عملته معانا، الفلوس اللي معانا بتاعت الشهر الواحد تكفي أربع شهور ويزيد، وإحنا فعلاً دورنا على شُغل النهارده في كييف، الشُغل كتير وسهل، وهناك بيحبوا المسلمين قوي خاصة العرب.

- مش ملاحظ إنهم بيتكلموا من تليفون خارجي مش موبايل؟!، وكمان صوت فارس مهموم وصوت فهد خايف وبيحاول يبان إنه متماسك ومبسوط، هما كلموك في إيه قبل ما تديني التليفون أكلمهم؟ حاسة إن فيه حاجة مش عادية،

وعندهم مشاكل شافوها، وأكيد قالوها لك، وإنت كعادتك مخبيها عليّا.

- مش ملاحظة إنك بتحللي وبتفتي؟ ما أنا قولتلك الحوار كله، وإنتي كده شاكة في كلامي ودي عادتك، وكده إنتي عصبتيني ومش هاقدر أسوق بالليل لغاية مكة.

- يعني إيه؟

- يعني أديكي اطمنتي على العيال، ونفسيتك ارتاحت، يبقى نأجل مشوار العُمرة ده لغاية موجة الحر دي ما تروح، ونبقى نروح في الطراوة، شهر عشرة الجو بيبقى حلو، نروح فيه ونستمتع.

- كده يا فتحي؟ بعد ما وعدتني تخلى بيا؟! عمومًا ليا رب اسمه الكريم.

- يصير خير، هادخل أخد شاور وأنزل أشوف حالي، اتفقنا ؟

- ربنا يكرمك يا نوجة بنت الحاجة " بيسه" ها ها هاا!.

إذا تخلى عن الإنسان وقت ضعفه الغريب عنه، فهذا أمر طبيعي وعادي، وقتها لا يلومن إلا نفسه لسوء اختياره، والعشم الذي أتاه دون مبرر، وعليه وقتها مراجعة نفسه

وتخفيف التوقع من دعم الآخرين له وقت شدته؛ أما إذا أتى الخذلان من قريب له وقد جمعتهما مواقف كان أداؤه فيه تجاهه إيجابيا، هنا تكون الصدمة أكبر، أما إذا خذله من يمثل له السند والظهر والمتوقع منه كل أشكال الدعم ولديه القدرة علي فعله بلا أدنى شك، هنا المصيبة أكبر ولا ينفع معها الأعذار وعلى النفس القهر والدمار.

حالة التوأمين النفسية تكاد تكون منهارة، لكن عليهما تقبل هذا، فشبه المتوقع من أبيهما السند الهوائي والعصا المكسورة، يتمالك فهد نفسه ويفضي لأخيه فارس:

- كنت متوقع من بابا أنه يفاصلنا في الفلوس اللي عايزنها كالعادة، إنما الصد والتجاهل بالشكل ده، كنت مستبعده.

- عادي يا مان، خلينا نفكر ونتصرف على أنه مش موجود أصلاً ونواجه مصيرنا، تخيل يا فهد إني ماقدرتش أقول لماما إن إحنا محتاجين فلوس، حسّيت من صوتها إنها مخنوقة ومش ناقصة تشيل همنا فوق همومها.

- والله فعلاً ده كان إحساسي بالظبط، برغم عارف إنها هاتتصرف وتبعتلنا اللي عايزينه تحت أي ظرف، يللا بقى نستعد للعيشة الناشفة من دلوقتي.

- عندي أمل كبير في المكتب اللي روحته النهاردة بتاع خدمة الشباب العرب ده يلاقيلي شغلانه بأي شكل، عشان

نقدر نعيش زي خلق الله، يللا نروح للغدا قبل الميعاد بتاعه ما ينتهي وما نلاقيش ناكل.

- طب استنى أطلب تاكسي.

فارس صارخًا:

- تاكسي إيه يا مان، يلا يا حبيبي رجلينا موجودة، هلم إلى الكفاح. ها ها هئووو.

# (٦)

المبالغة في تقدير مستوى ذكاء الفرد لنفسه وبنفسه، أمر صعب عليه في حياته، خاصة عندما يلتقي بآخر، قد حباه الله مستوى ذكاء أعلى، فيتواضع ويسأل الله المزيد منه، عامة الذكاء قد يكون لصاحبه نعمة يستخدمها بهدوء متحسبًا النتائج المرجوة والمتوقعة دون الغرق في التفاؤل، وأحيانًا يكون الذكاء نقمة مبينة إذا استخدمها صاحبها بتهور واندفاع واهمًا نفسه أن النتائج دون شك ستأتيه بأفضل مما يتوقع، ويغرق في تفاؤله الغير مبني على ركائز تدعمها، اللهم إلا أنه اعتمد على ذكائه فحسب، وهنا تأتيه المصائب من حيث لا يحتسب.

استيقظ فتحي من نومه مبكرًا نشيطًا وأخذ يدلك بيده نصف جسمه المصاب بالشلل وانتابته حالة أمل في الشفاء، وأنه سوف يستجيب نصفه المصاب للعلاج الدوائي وما يليه

من جلسات علاج طبيعي، بعدها يتحرك ليرى الحياة التي أحبها وظل متمسكًا بها بكل قوة، من فوق سريره في غرفته الخاصة بالشقة الكائنة في حي مصر الجديدة بالقاهرة، نادى على زوجته نجوان شريكة حياته لأكثر من عشرين عاما:

- يا نجوان، يا نوجة، يا نجوتي، تعالي دخليني الحمام.

ترد نجوان من بعيد:

- حاضر يا فتحي جيالك، أخلص اللي في إيدي ثواني.

أتت تسأله في دهشة:

- خير يا فتحي، صاحي بدري ليه مش ميعادك، فيه حاجة قلقاك؟

- لا حسّيت اني شبعان نوم وفريش وماسهرتش بالليل قدام التلفزيون ولا اتفرجت على أفلام ونمت بدري.

- حلو كده يا ريت تستمر، يللا قوم معايا إسند عليّا تدخل الحمام، جهزته لك من بعد ما صليت الفجر.

انتهي من روتينه اليومي، الحمام ثم الفطور وتناول علاجه ثم احتسى قهوته وجلس فوق كرسيه المتحرك في شرفة منزله المطلة على حديقة ذات منظر خلاب وقال:

- أقعدي يا نجوان، هو إنتي نسيتي موضوع المسابقة اللي بينا ؟ والا عشان ضمنتي الشقة دي اللي حيلتي بالتنازل اللي كتبته، كده يبقى حقك إنك تطنشي إنك تكمليها.

- لا يا فتحي ما نستش وأنا مستعده، بس شايفاك ماجبتش سيرة، قولت خايف تخسر، عشان كده محتاج وقت تهدي فيه نفسك من اللي قولتهولك، عشان الجديد لا تضحك عليه وتموت ولا تزعل منه وتتقهر، وده برضه مش حلو عشانك وما يرضنيش يا توح.

بتهكم مفضوح:

- طيبة يا نونو أوي.

- بصراحة كنت ومانفعتش، يللا بقى إنت مستعد؟

- هو يعني هاسمع أكتر من اللي سمعته؟! اللي عملتيه لما اتجوزت الممرضة عرفي، ودخلتيني السجن و وصيتي عليّا اللي يضربني ليل نهار في العنبر، واللي عملتيه لما اتجوزت البنات البوسنيات القشطة، بعدها ترحيلي من السعودية في لحظة، وسبت حالي ومالي هناك، ورجعنا مصر، قولي يا طيبة.

- مش هازعل منك لإن زعلت كتير يا حبيبي واتقهرت كتير ومانفعش، طبعًا إنت اترحلّت من السعودية ومعاك قرشين حلوين كانوا ٣٠٠ ألف دولار.

فتحي تكاد عيناه أن تقفز من وجهك:

- إيش عرفك؟ مع إني ماقلتش ليكي إن معايا فلوس أصلاً.

- أصبر على رزقك، كل حاجة في وقتها.

تنظر نجوان إليه باستخفاف ثم تكمل:

- طبعًا كانت فرصة عشان العقدة المتأصلة فيك إنك تعلن أمام الجميع إنك راجل رأسمالي بتنافس كثير من أصحاب المال، وبدأت تتصرف تصرفات وإنت معتقد إنك تحدث الناس بنعمة ربنا، بينما الحقيقة كلها تصرفات محدث النعمة اللي فجأة نزلت عليه ثروة ومش مصدق نفسه، وعايز الناس كلها تتكلم عنه إنه غني وكريم، وكمان احترامات منهم عند كل تصرف منك، وكل كلمة بل وكل حركة.

- أنا أهو مش زعلان خالص مع إن كلامك كله تقطيع ودبح.

- اتفقنا الزعل ممنوع يا توح يا جميل، عشان أبين لك حُسن نيتي، هاقوم أعملك طبق فاكهة، وكمان حتة آيس كريم

تطري علي دماغك وأعصابك، حبيبي أنت يا تحتح.. تحتح.. تحتوح.

تركته وانصرفت إلى المطبخ.

بينما نجوان تعد طبقًا من شرائح الفاكهة الباردة في قيظ أغسطس، تعود بذاكرتها للخلف كشريط سينمائي وجب التوقف فيه عند كل مشهد ليقوم النقاد بتحليل الأحداث والمواقف مع تقييم أداء نجوم الفيلم، وربما يرشحون فتحي لجائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان الدولي، هو لم يكن يبدو ممثلاً يؤدي شخصية كتبها مؤلف الفيلم، بل كان له من الأداء المقنع أنه طبيعيًا في كل مشهد، بارعًا في تقديمه دون تكلف، عادت إليه منشرحة النفس وجدته مضطربًا يحدث نفسه، فبدأت بصوت ناعم تنادي عليه:

- فتحي.. فتحي.. فتحي، الجميل راح فين؟ نحن هنا واقفين ع المحطة، اتفضل يا توح، أجمل طبق فاكهة في عالم التوهان، هيئ هيئ هيئ.

- نسيتي تجيبي إزازة ميه ساقعة.

- قدامك أهي يا تحتح، سلامة النظر.

- كملّي بقى عشان مستعجل أفهم.

- من عيوني يا قمر، حضرتك ابتديت تقلّد رجال الأعمال تشوف بيقعدوا فين؟ بيلبسوا إيه؟، بيتكلموا ويتصرفوا إزاي، ترجع وتحكيلي عن أدائك الباهر، استقر بيك السهر كل ليله في "جروبي" اللي في شارع سليمان باشا تشوف وتتفرج على رجال الأعمال وتحاول تحتك بيهم، وتوصل لهم رسالة إنك منهم، وكنت مهاجر في كندا، وآن لك الاستقرار في وطنك من خلال مشروع استثماري كبير.

مندهشًا لدرجة تفوق الخيال ويسألها:

- هاتجنن يا ناس، برضه عرفتي ده إزاي وإنتي قاعدة في البيت.

تبتسم نجوان و تقول:

- اتقل ع الرز عشان يستوي، إنت كنت مِلفت لنظر كتير من المترددين على "جروبي"، و كان منهم كتير نفسهم يتعرفوا عليك، وإنت عامل تقيل و متزن، لغاية ما جت بنت الحلال وكعبلتك، كانت صاحبة مكتب للمشاريع الإستثمارية وبتشتغل في كل حاجة، المهم المكسب، يوميًا كانت تجتمع بالمستثمرين اللي بيتعاملوا معاها، لاحظت إن عينك عليها واشتغلت عليك يا سكر بشُغل النسوان، كانت كل أسبوع تقول لطقم الكافتيريا كل الطلبات على حسابها الليلة دي بمناسبة نجاح مشروعها الأخير.

- آه والله صح صح صح....

- صح النوم، قوم ارتاح دلوقتي وأنا هادخل أطبخ.

- أرتاح ؟ ريحييني وكمّلي عرفتي إزاي؟

- لازم أقوم أطبخ، السمك خرجته من الفريزر بدل ما يبوظ وتقول عليا ست بيت خايبة، عن إذنك .

عند تأسيس جمعية باسم "مكتب خدمات شباب العرب" شعر القائمون على إجراءات التسجيل في "كييف" بالدهشة حد الغرابة، فكيف للعرب أن تأتيهم فكرة رعاية شبابهم المقيمين خارج أوطانهم، في حين أنهم لا يلقون أدنى رعاية داخله، ألا بهم أن يعلمون أن شبابهم يفرون بكل الطرق حتي المميت منها من بلادهم قاصدين كل بلاد العالم باحثين فيها عن فرصة عمل، ولو كانت مهينة وقد ينتهي بهم الأمر إلى الاستقرار في بلد غربتهم حتى نهاية حياتهم، ومع ذلك تم تأسيس الجمعية على أمل ما أتى ولن يأتي، بالطبع يستثني من هذا شباب البلاد العربية البترولية.

إيلينا ذهبت بمفردها للاجتماع بمدير الجمعية للحصول على عمولتها المقررة عند جلب شاب عربي تتوافق بياناته وشروط الجمعية المعلنة بين أعضاء الإدارة ليس دونهم،

حسب الموعد المحدد مسبقًا باتصال هاتفي بينها وبين مدير الجمعية "إلياس" وهو تاجر عربي متعدد النشاطات، من أصل لبناني له علاقات دولية عالية المستوى، تدخل "إيلينا" مكتب "إلياس" مبتسمة مصافحة له وهي تقول:

- مرحب إلياس، كيف حالك عزيزي؟

- مرحبا إيلينا، أنا بخير، تفضلي بالجلوس.

- شكرًا إلياس، مؤكد تعلم أنني كنت هنا بصحبة شاب عربي من مصر، وإقامته الأخيرة سعودية عربية، عمره ١٧ عام.

- بالفعل قرأت باهتمام بياناته، وأحفظها عن ظهر قلب.

- أعلم عزيزي كم أنت دقيق في عملك، وجودي هنا لسببين أولها صرف عمولتي، وثانياً معرفة خطة تعاملك معه.

- بالنسبة لأولاً، عمولتك جاهزه تستلميها من السكرتيرة، أما ثانيًا، أرى بداية أن نضع له العراقيل ليفقد الأمل في العمل دون أن يدري، والظاهر له أننا نقدم له جهد كبير في توفير العمل، دي خطوة مهمة لليأس، بعد هذا نقدم له الدعم المالي السلبي، وبالطبع لك دور هنا في أنه يبقى دائما محتاج المال بكل الطرق شرعية وغير شرعية.

- مفهوم مفهوم يا عزيزي إلياس، دعنا على اتصال وقت حدوث جديد مع الحالة.

- شكرًا إيلينا، إلى لقاء قريب.

حضر التوأمين بضع محاضرات، كانت تشير إلي قواعد اللغة الأوكرانية، وكذلك بعض معلومات جغرافية عن أوكرانيا ومدنها وخلفية تاريخية عنها، وكانت ترجمة حية من خلال سماعات الأذن إلي اللغة العربية الفصحى، هذا أسعد التوأمين من نواح عدة منها التنظيم الجيد، سلاسة التوضيح من خلال أدوات وخرائط وإمكانيات فنية لتسهيل وصول المعلومات للطلبة، وكذلك الترحيب المستمر بالطلاب الجدد، واعتزاز المحاضرين وفخرهم ببلادهم.

عقب انتهت المحاضرات ذهب كلا من فهد وفارس إلى الحديقة التي استهوتهم بالجلوس فيها، ودار حوار بدايته راحة بينهما يبدأه فارس:

- أنت عارف يا مان، الناس دي عارفة كويس هي بتعمل إيه عشان تجذب الأجانب لبلادهم، للأسف ده بنفتقده ولا نهتم بيه أبدًا في بلادنا العربية.

- عندك حق يا فروس، شوف يا أخي مصر مثلاً، فيها كل ما يغري السياح صيف وشتا، ويرضي كل سايح مهما كان اهتمامه بحر.. ثقافة.. علاج.. آثار وكل حاجة، مع ذلك ما

تلاقيش سياح فيها زي بلاد كتيرة ماعندهاش ربع اللي عندها.

- سمعت الواد النيجيري اللي زار مصر في رحلة، اتكلم عنها إزاي؟، كفاية إنه قال أنا باحسد المصريين على بلدهم.

فهد يسرح حزينًا:

- كده فكرتني بأخونا التالت "فريد" اللي عايش مع عمته من بعد ما خد الإبتدائية، وبابا بطريقته عايز يقنعنا إنه وداه مصر عشان التعليم في مصر كويس، ها ها والغريب إن هو مصدق نفسه، وإحنا فاهمين إنه حابب يساعد عمتو بس عليها تقوم بالواجب في المقابل، بصراحة مبادئ بابا تنفع في القرون الوسطى، لما كان الأخ يقتل أخوه عشان ياخد منه عضمة بقرة كبيرة تنفعه في المعارك ها ها هاااااع، طب والله حلوة .

فارس ضاحكًا بشدة ويقول:

- والله إنت اللي مزاجك حلو، ألا صحيح أخبار فريد إيه؟ إحنا مقصرين معاه في الاتصال، كنّا بس نعرف أخباره من ماما، وطبعًا ماكنتش طايقة عمتو عشان كده الاتصالات كانت قليلة.

- برضه عندنا عيب ومقصرين، بس آخر معلوماتي إنه غاوي رسم ونحت.

- ربنا يسهل علينا ونجيبه يدرس معانا هنا هايبقى مبدع، الوضع هنا يشجع على كده، هاتعمل إيه بقى بكره في لقاء مكتب خدمات الشباب العربي؟

- هاروح ل "إيلينا" وربنا يدبرها، وألاقي شُغل عن طريقهم، يللا بينا نروح السكن.

غروب الشمس يمثل لفتحي حالة اضطراب، وعدم توازن منذ الصغر لا يعرف له سبب واضح، من فوق كرسيه المتحرك نادى على نجوان بصوت جهوري أزعجها، فأتت إليه تهرول في حالة فزع :

- مالك يا فتحي؟ حرام عليك خضتني، افتكرتك وقعت من على الكرسي، ارحم بقى يا أخي، أومال لو كنت سليم.

باستعطاف وصوت هادئ يقول:

- والله أبدًا ماقصدتش، آسفة ماتزعلش مني يا فتحي، هو فيه حد ضامن صحته أوحياته، بس يا ريت ما تصرخش تاني وإنت بتنده عليّا، عايز إيه بقى؟

- عايزك تقعدي نكمّل مسابقتنا اللي مش باين لها نهاية.

- حاضر، بس ياريت إنت اللي تكملها لأن أنا عارفاها كويس قوي، قول وأنا واثقة فيك المرّة دي، وهاقولك بعد كده أنا عرفت التفاصيل اللي قولتهالك إزاي.

- أوكي، فعلاً أبدت "مُهجة" تتابعني من تحت لتحت من أول ما تدخل جروبي لغاية ما تمشي، وتبادلني نظرات الإعجاب والحقيقة كانت جميلة وجسمها حلو وشيك جدًا وشقرا، كان عندها أربعين سنة بس فرس، لغاية ما جت فرصة لقيتها لوحدها، روحت أشكرها على المشروبات اللي بتنزلها لزباين الكافتيريا، وبالمرّة أهنيها على نجاح مشاريعها اللي ما بتتوقفش، قالت لي اتفضل اقعد، وبدأت تعرفني على نفسها، وأنها سيدة أعمال ناجحة ومعاها شركاء كتير، على أعلى مستوى في الدولة، وإن كانت تعيسة في حياتها الخاصة، إلا أن نجاحها يعوضها كتير، وقعَدت تقولي أسماء في مناصب خطيرة في الدولة، مساهمين معاها بمبالغ خيالية، وبتحط لهم في حساباتهم أرباحهم الشهرية اللي ممكن توصل لأكتر من ١٠٪ شهريًا يعني أقل من سنة فلوسه ترجع له، وتستمر الأرباح ورأسماله زي ما هو.

- أجيبلك تشرب ميه ساقعة حاسة إن ريقك نشف، أتمنى بقى تكمّل بنفس الصدق.

- أوكي، الحقيقة أنا برضة عيني عليها، وبرضه على فلوسها وسرحت بيها.

نجوان تصرخ :

- على يدي يا فتحي على يدي رجعتني لسنة ٨٠ أول ما عرفتك، كمّل يا توح كمّل.

ينظر فتحي إلى نجوان نظرة تعني يكفي ما حدث من مُهجة ثم تنهد تنهيدة طويلة ويكمل:

- حسّيت إنها وقعت بمجرد ما قولتلها إني جاي من كندا، ومعايا ٦٠٠ ألف دولار، وعايز أستثمرهم، و بصراحة قلتلها أنا بادوّر عن الاستقرار العاطفي والعائلي لأني مش مرتاح، خاصة بعد ما وديت ولادي يدرسوا الطب في أمريكا اللي كانوا ماليين عليّا حياتي، ماتزعليش مني يا نجوان كله ده كان رسم.

نجوان تمثل الدهشة:

- أزعل؟ فشر، ارسم يا توح براحتك، أقوم أعمل عشا خفيف سندوتشات وأجيلك نكمّل.

عادت إليه بسرعة حتى تتجنب إزعاج نداءه عليها، ولم تغفل شيئًا مما يحتاجه أثناء الأكل، ثم طلبت منه تكملة الموضوع فقال لها:

- وصلنا لغاية تيجي تصيده يصيدك صح؟

- يا عيني عليك لما تبقى سمكة يا روحي.

- مش هازعل، لقيت نفسي عايز أثبت لها إن فعلاً معايا فلوس، لإنها قالتلي مش بتثق في الرجالة وكلهم طمعانين فيها، تاني يوم زي الشوال روحت جبت خمس تلاف دولار عشان أستثمرهم معاها، بصت لي بصة زبالة وقالت: أنا مش محتاجة فلوس استثمار من حد، المساهمين اللي معايا تقال قوي مش محتاجة مساهمين غلابة يصدعوني.

نجوان تصفق بيديها وتقول بسخرية :

- العبي يا مُهجة.

- برضه مش هازعل زي ما انتي عايزة عشان أكسبك، طبعًا أنا زعلت، وقولتلها نتقابل بكره وهاتشوفي.

نجوان" تغني" هاقابله بكره وبعد بكره.

- وبعدين بقى معاكي، سيبيني أركّز، تاني يوم روحت عطيتها ٥٠ ألف دولار خدتهم بقرف، وعطتني وصل مختوم

باسم شركة ( مُهجة مصر للاستثمار و السياحة )، ماكنتش عايز أخده منها، وهي أصرت وقالتلي ده حقك.

نجوان تصيح وتقول بثقة:

- سيبني أكمّل لك أنا اللي ماتعرفوش، كنت حضرتك بتفتخر أيامها إنك بتقعد في "جروبي" مع كبار البلد سياسيين وممثلين ورجال أعمال وابتديت تهتم تحط "برفانات" نفاذة على غير عادتك، فهمت إن الموضوع فيه واحدة ست، وفجأة من نفسك قلت إنك داخل معاهم في مشروع كبير قوي برأسمال خمسة مليون دولار والسهم بتاعك ٥٠ ألف دولار هما اللي حيلتك، وطلبت مني أدخل معاكم، قولت لك أفكر بس تديني كل البيانات عن الموضوع.

- آه صح، وكمان كنت بأزن عليكي كل ساعة.

- من هنا بقى عرفت كل حاجة واتحركت بهدوء.

- فهميني أكتر.

- كله بأوان، يللا أنا هاقوم أنام، تصبح على خير يا رسام.

-طب ليه كده بس؟ وربنا ما أنا زعلان، وإنتي من أهله.

# (٧)

ذهب فارس برفقة إيلينا إلي مكتب خدمات الشباب العرب، وكله أمل أن يجدوا له فرصة عمل يعينه الدخل منها على مواصلة المعيشة هو وشقيقه فهد في غربتهما، بعد تخلي الأب عن واجبه في الإنفاق عليهما، ليمرا بتجربة تقويهما وتجعل منهما رجالاً حسب اعتقاده ليواجهان مرارة الحياة وأوجاعها كما حدث له في مطلع شبابه.

دخل فارس بمفرده هذه المرّة لمقابلة "إلياس" مدير الجمعية بعدما طبعت إيلينا قبلة علي خده متمنية له التوفيق، إلياس وقف مرحبًا بفارس:

- أهلين بمصر، وشبابها الواعد، والله نشتاق كتير أشوف أم الدنيا، مرحبًا فارس تفضل خيبي.

- أهلاً وسهلاً مستر إلياس تشرفت بيك.

- على راسي أبو الفوارس، إحنا هون لمساعدة شاب يبغي الكفاح والعلم معا، شوف فارس منشان ما عطلك خلينا نبلش في المفيد على طول حبيبي، بالفعل وفرنالك شغله في مطعم عربي هون من بكير تروح تبلش، ومنشان مصاريفك نعطيك مبلغ يوازي ألف دولار تسدده من راتبك أقساط، هاد المبلغ وهاد إيصال استلام يتوقع من حضرتك، وهاي عنوان المطعم بالتفصيل، حظ طيب والله معك.

خرج فارس منشرح الوجه مقبلاً على إيلينا يحتضنها ويشكرها علي حسن صنيعها معه، وبدورها تقول له:

- ليس هنا فروس، كل التهاني حبيبي، لنذهب نحتفل سويا في منزلي الصغير و نكون على راحتنا.

ذهبا إلى أكبر مول تجاري في العاصمة كييف اشترى لها هدية أعجبتها، ومستلزمات منزلها والمطلوب للسهرة معا.

استطاعت بخبرتها، رغم صغر عمرها أن تجعل منه رجلاً غاية الفحولة بعدما كان بكرًا لا يعلم عن لقاء أنثى شيئًا، سقط فارس في بئر لا قرار له، قضيا ليلتهما ترشده وهي اللعوب، وينفذ و هو المطيع، استيقظ بعد ليلة الوحل منتصف نهار اليوم التالي، وتضيع عليه فرصة الذهاب

لاستلام عمله بالمطعم، أحصي ما معه من مال وقد أنفق ما يزيد عن نصفه، بينما شقيقه فهد لم ينم ليلته منتظر إياه، عن عودته لشقيقه بعد طول انتظار بلغ الرعب، فهد يحتضنه ويبكي بحرقة قائلاً:

- ليه كده ؟ .. ليه تعمل فيا ده كله؟ .. ليه ترعبني عليك ؟ .. والله ده كتير منك؟ .. خلتني عاجز مش عارف اتصرف.. طب كنت أقول لمين يدور معايا عليك؟ .. أنت نسيت إنك نص روحي.. ماكنش ينفع أعيش بنص روح.

يفحص وجه فارس وجسده ويضمه بقوة مع النحيب المتقطع:

- حبيبي إنت بخير؟ قولي يا فارس مالك؟ .. خليتني طول الليل أقطع نفسي، وأقول ليه سيبتك تروح تشتغل، وأنا قاعد ؟.. حسّيت إني أناني ولا أستحق أخوتك.. طمني عنك .. كلمني .. سامعك .

يحاول فارس تجميع نفسه المهتزة والخجل يعتريها لما سببه لأخيه فهد وقال بصوت مخنوق :

- أنا كنت بايت مع إيلينا في بيتها.

بصرخه :

- إيلينا ؟ طب ليه؟

- اتوفقت ولقيت شغل جابهولي المكتب، روحت معاها أقعد شوية عشان بيتها قريّب من المكتب، الوقت سرقنا وقعدنا للصبح، يللا بينا أنا معايا فلوس نشتري كارتين للموبايلات بتوعنا عشان نعرف نتواصل ببعض في ظروف زي دي.

نظر فهد إليه وهو العالم جيد بأخيه عندما يكذب ويقول:

- مش وقت التفاصيل يا فروس، المهم إنك بخير، يللا بينا نتغدا وبعدين أذاكر لك المحاضرات اللي فاتتك، بعد كده نقعد ونتكلم مع بعض علي اللي إنت مخبيه عني.

نظرة دهشة من فارس ويقول متلعثمًا :

- أوكي يا مان.

ما زالت خيوط المصيبة الأخيرة التي غرق فيها فتحي مع سيدة الأعمال "مُهجة" لم يلملمها فتحي في حواره مع نجوان زوجته وكيف لها أن تكون طرفًا وتكشف له أحداث و حوارات لم تكون فيها طرفًا مباشرًا أو حتى غير مباشر إلا عند نهايتها، نهاية هذه الفجيعة كانت سببًا في إصابته بالشلل النصفي، فلم تتحمل أعصابه هذه النتيجة المؤلمة

والتي أسفرت عن إفلاسه، مضى على هذا الحدث أكثر من عام بعد وصوله أو ترحيله بمعنى أدق من السعودية بشهور قليلة.

من هنا يزداد شوقه ولهفته وبالطبع فضوله المعتاد أن يعرف كيف كانت غفلته الأخيرة والتي أودت بضعفه بعد قوته ورقاده بعد حركته وحيويته، تلك أسباب كافية أن يصرخ مناديًا على من بيدها مفاتيح الأحداث بعدما كانت "القطة المغمضة" كما كان يوصفها :

- يا نجوان.. يا نجوان.. تعالي بقى وارحمينى من اللي أنا فيه.. سيبي اللي في إيديكي حتى لو كنتي بتصلي.. أنا عايز ارتاح.. نجوان .. نجوان.

تأتي إليه وقد انتابها الفزع كما تعودت ولما وجدته معافى صرخت قائلة:

- ارحمني عشان ربنا يرحمك، بلاش صراخك ده، افهم ده إن أنا باتخض عليك، وأفتكرك وقعت من على السرير أو الكرسي، عارفة إنت عايز إيه مني دلوقتي؟ عايز تعرف نهاية حكايتك مع حبيبة القلب مُهجة، صح ؟:

- بقولك إنتي شيخة، وفيكي حاجة لله، لما تموتي هاعملك مقام في ميدان "تريومف" عشان يبقى جنبنا وأزورك.

ترد بتحدي:

- شكلك كده متعصب قوي وغضبان، وكده خسرت الرهان وراحت عليك الشقة، ألف مبروك عليّا وعلى أولادي من بعدي.

كاظمًا غيظه:

- مش هازعل أهو وإنتي بتفولي عليّا إني أموت، علشان تورثيني وبعدك ولادك، ربنا يسامحك يا نوجة، هو إنتي ما شفتيش مني أو معايا يوم حلو أبدًا؟

سرحت قليلاً ثم استرجعت ماضيها معه، وقالت وهي تعيش الحلم المزعج:

- عارف يا فتحي، التواريخ كلها زي الوشم في راسي محفورة، وأخاف أنساها، فبكتبها وأراجعها وأسمعها لنفسي بأخاف أنساها، كل الأحداث لها عناوين في ورق وفِي عقلي وكمان روحي.

- طب سمعيني اللي في قلبك الأسود اللي مش عايزة تغسليه أو تدهنيه أبيض وترتاحي.

- لو كانت الألوان هي الحُكم علي المخلوقات.. تبقى الحربايه أفضل خلق الله.

أعجب فتحي بالمثل في داخله، لكن ظاهره جعله يسخر قائلاً:

- أيون دخلنا في "الفلسفة النوجية" قولي يا نوجة التواريخ اللي تعباكي، فضفضي يا نووج.

- اللي ماتعرفهوش إن الفلسفة معناها حُب الحكمة، ومع ذلك هاقولك وما تقاطعنيش، سنة ٨٠ كان تعارفنا، بعدها ب تلات سنين اتجوزنا، خلفت وربنا رزقنا بالولدين التوأم ٨٤، بعد سنة ونص خلفت الولد التالت "فريد"، ٨٦ جوازك العرفي بالممرضة و إنت عامل عملية بواسير، ٨٧ يا روحي دخلت السجن و كنت مقطع قلبي عليك - بسمة لئيمة -، بعدها يا حبيب قلبي يا غالي كنت صايع، وأنا اللي كنت باصرف ع البيت، سنة ٨٨ سافرت السعودية وما أدراك ما أحداث السعودية، لما الفلوس جريت في إيدك، وكفاية لغاية هنا، لإن لو كمّلت إنت اللي هاتكسب الرهان، إنما بعينك يا فتحي.

اختنق صوتها وأردفت تقول:

- هاقوم أصلّي وأكلم ربنا شوية.

# (٨)

استطاعت الفتاة الأوكرانية "إيلينا" السيطرة التامة علي الشاب فارس عديم الخبرة في الحياة، والذي نشأ في بيت كان الأب فيه متسلطًا، والأم مغلوبة على أمرها، وما يفوق ذلك مجتمع ملتزم لا يعطي فرصة للإنحراف بأنواعه المختلفة، لذا أصبح الشاب دمية في يديها تلعب بها كيفما تشاء، منحها فرصة لن تتكرر لها فهو شاب ما عرف طريق المتعة أيا كانت إلا معها، فهو المطيع دائمًا لرغباتها ومن ناحية أخرى يوفر لها المال بلا عناء، وقد نجحت في توريطه مع جمعية رعاية الشباب العرب في كييف في الاستدانة منها، ما يريد مقابل توقيعه على إيصالات وهم ما تأخروا عنه لحظة حين الطلب المتزايد للبذخ الذي يحياه بتدبير من "إيلينا".

عندما شعر فهد توأم فارس بأن أخيه يدنو من حافة الهاوية جلس معه، واحتد عليه قائلاً:

- رايح على فين يا ابن أبويا وأمي؟ حالك كله متلخبط ومش عارف إنت فين وليه؟ اللي بتعمله ده هايدمرك، ساعتها مش هاتعرف ترجع فارس تاني، أنا مش عارف مصدر فلوسك إيه؟ ولا مقابل إيه ؟ ومش مقتنع أبدًا إن البت دي ممكن تصرف على حد، دي عايزة اللي يصرف عليها، و بعدين يا أخويا و توأمي يا اللي بتضحك عليّا، أو بتكذب عليّا وبتقولي إنك بتشتغل، شُغل إيه ده اللي من غير مواعيد،؟ تروحه وقت ما انت عايز، حتي صحتك في النازل فين فارس اللي كان رياضي وبيلعب تايكوندو في النادي والمدرسة ؟ جسمك بقي كله مترهل، وطلعلك كرش وبتقوم من نومك بالعافية، لغاية كده قسمت بيني وبينك، إلا إذا رجعت عن اللي بتعمله، وترجع فارس أخويا اللي بيحس بيّا وأحس بيه، مش بيكدب عليّا ويألف حكايات أطفال يضحك بيها عليّا، قولت إيه يا فروس؟

رد فارس بكلمات ثقيلة:

- خلاص يا فهد كفاية مواعظ، فعلاً كده قسمت وهاروح أعيش مع "إيلينا" كانت طلبت مني كده من فترة، وأنا ماكنتش عايز أسيبك، سلام يا مان.

تركه بخطوات سريعة مبتعدًا عنه، لكن فهد بعد إصابته بخيبة الأمل أخذ ينادي عليه:

- فارس.. فارس.. اعقل يا ابني الله يهديك، طب تعالى نتفاهم، والله خايف عليك، يا ابني إنت غلبان وأنا زيّك، اترمينا في النار ومش عارفين حتى نتألم، يا أخويا أنا ماليش غيرك، ارجع أرجوك.

بكاء حار ونحيب من فهد .

مر العام الدراسي الأول و قد نجح التوأمين في اجتيازه، وقد بذل فهد مجهودًا ضخمًا في إقناع شقيقه بحضور الامتحان بعد توسط إلينا بينه وبين أخيه فارس مع الشرح المستفيض للمنهج خلال أيام معدودات، وانفصل فارس عن شقيقه مرة أخرى، وهذا كان شرطًا له، اجتهد فهد حتى تمكن من الحصول على عمل يدر عليه دخلاً يقابل به نفقات المعيشة عامة، خاصة أنه نما إلي علمه من والدته أن شقيقه الثالث "فريد" يستعد بعد اجتياز الثانوية العامة المصرية الحضور يلتحق بشقيقيه لدخول كلية الطب ب"كييف" لتكتمل ثلاثية أبناء فتحي أربعة "إف"، ومن حسن حظ الولد الصغير أنه اختصر عامًا بالتحاقه بالمرحلة الإبتدائية في دراسته وعمره الخامسة والنصف.

لم يمضي شهرًا على تقديم فتحي لولده الصغير ملفه الدراسي الذي كان يدرس في مصر للجامعة الأوكرانية للإلتحاق بكلية الطب، وكان قد تم ترحيله من السعودية إلي مصر وإلا ما كان فعل له هذه الخطوة حرصًا على توفير النفقات، هذا الأمر كان دافعًا للأم نجوان بعد رحيل أولادها عنها وأفعال أبيهم إلى الإبلاغ عنه ليتم ترحيله الفوري وإصابته بالحسرة، فقد نضب الكنز.

تم استدعاء فارس للحضور إلى مقر جمعية خدمات الشباب العربي للمثول أمام مدير الجمعية لبناني الجنسية إلياس وقد استقبله بجفاء بالغ قائلاً:

- وين فلوس الجمعية فارس؟ هادي جمعية مستثمرين مش جمعية إعانات خيي.

فارس في دهشة وفزع:

- كلامك كان إني أسدد من راتب الشغل اللي هاتوفره ليّا.

- كلامك صحيح حبيبي لكن نسيتني سنين منشان تشتغل؟، وما تنسى إننا وفرنا لك شغل وما إنت شغيل، إنت عايش حياتك في حضن إيلينا تاخد مصاري الجمعية وتصرفها عليها، قدامك حبيبي أسبوع تسدد المصاري بدون تأخير.

- أسبوع إيه بس مستر إلياس وأنا ما عنديش دولار واحد.

- بدّي والله أخدمك لكن ما اعرف كيف؟ إنت عارف إنت عليك كام حبيبي؟

- حوالي خمستاشر ألف دولار.

- ليش خيي هو إنت واخد منا قرض حسن؟ إحنا لينا في ذمتك حسب الإيصالات اللي وقعت عليها ١٥٠ ألف دولار، شو حساباتك هادي!!!

فتح فارس فمه غير مصدق ما يسمعه:

- ١٥٠ ألف دولار، ليه أنا ماخدتش المبلغ ده ولا حتى ربعه.

- شوف يا شاطر الإيصالات موجودة، والشرطة موجودة، وإحنا ما نتنازل عن دولار واحد، يللا ما تضيعش وقتي وامشي هالحين، وبلّش مع حالك كيف ترجع المصاري.

غادر فارس مكتب إلياس، لكنه لم يجد إيلينا التي أبلغته، بل وحضرت معه إلي المقر، أسرع إلي منزلها ليستنجد بها في حل هذه الكارثة وهي التي تحبه حبًا جمًا، لذا فلن تتأخر عنه في وساطتها لدى الجمعية، استقل سيارة أجرة حيث منزلها وجده مغلقًا، أسرع إلى الميدان موقع عملها لم يجد

لها أثرًا، لم يفقد الأمل بحث عنها في كل مكان سبق له الذهاب إليه معها، أخيرًا اقتنع أن إيلينا اختفت.

عاد فارس إلى حضن فهد يبكي ولما أسمعه الصدق بعد الكذب أبكى معه قلبه وعيناه، العقول توقفت عن مجرد التفكير في حل وعليهما الإنتظار حتى إنتهاء مهلة الأسبوع المقررة من إلياس ولما مضت ذهب التوأمين معا إلى حيث مقر الجمعية، وتم منع فهد من الدخول مع شقيقه ليلتقي فارس بمفرده إلياس المتأهب والمتحفز بقوله:

- مرحبًا بالشقيق المصري، إيش سويت في موضوع الدين اللي عليك؟، أتعشم السداد.

- سداد إيه بس، والله لو معايا أو حتى أعرف كنت جبتلك الفلوس، لكن أنا مش عارف أعمل إيه، لو تديني مهلة لما أنزل مصر يمكن ألاقي صرفه.

- لو بإيدي خيي ما اتأخر وربي، لكن أنا مجرد شغيل عند ناس ما ترحم، بس فيه فكره يمكن تفلح معنا، ده يتوقف على كلمتك.

- لايمني عليها بليز مستر إلياس واعتبرني أخوك الصغير.

وكأنه يفكر ثم يهز رأسه كأنه وجد فكرة الخلاص:

- فيه جماعة دولية ماعرفش أفرادها لكن أعلم إنها بتتعاقد مع شباب خاصة العرب، منشان يوقفوا ظلم الحكام العرب وحكوماتهم المستبدة، هاد من خلال عمليات بسيطة داخل هاي الدول.

- إرهاب يعني.

- ليش التفكير هاي قول مقاومة الظلم يا فارس، الناس دي ماليها مصالح هدفها سلام في العالم والشعوب تعيش في راحة من كل مستبد، منشان هاد الهدف بيدفعوا مصاري كتير تدفع ديونك ويبقى معاك مصاري تعيش بيها منيح.

- العمليات دي فين وإزاي؟

- ما عندي معلومة هالحين، بلش تفكير وقدامك شهر عشانك بس بدي أكرمك، ياريت هالحديث اللي صار بيني وبينك بس، وما تبلغه لحدا، حتى خيك التوأم اللي قاعد برّه، مفهوم؟

فارس يهز رأسه بصعوبة :

- مفهوم.

خرج فارس تائهًا كمن غِيب عن وعيه، ولم يتردد لحظة لإخبار شقيقه فهد بتفاصيل الحوار الذي دار بينه

وبين إلياس، كان فهد متعقلاً مع توأم روحه فلم يلومه ولو بنظرة واعتبر إن المشكلة مشكلته وليست لأخيه وحده، بينما أراد أن يعلم ما بنية أخيه تجاه العرض المقدم.

- طب إنت رأيك إيه يا فارس؟

فارس في غاية السرعة :

- طبعا ده أهبل لو أفتكر ثانية إني ممكن أعمل أو أشارك في عمل إرهابي في أي دولة عربية، دا أنا أبقى جبان وندل، طب هو خسيس عربي وبيخطط كده عشان الفلوس، إذا كان بيخيرني بين ابقي إرهابي سافل والسجن، هاختار السجن بدون تفكير.

نظرة فخر وإعجاب من فهد مع حضن:

ده اللي أتوقعه منك إنت فارس وأخلاق فارس، ولا يهمك هايدبرها رب التدابير.

وجدت نجوان أن حالة فتحي تتدهور، وأصبح مزاجه عصبيًا جدًا لدرجة أنه لا يطيق نفسه، بل شهيته للطعام كاد أن يفقدها تمامًا، وحتى النوم ما عاد يتذوقه كما من قبل،

أشفقت عليه وخشيت أن تكون سببًا في حدوث مكروه له، أقبلت عليه قائلة :

- صباح الخير يا فتوح، صاحي بدري ليه، يا ريت تكون صليت الفجر؟، ماصلتش عارفة، وعارفة كمان اللي شاغل بالك هاقولك وأريح بالك، بس أوعى ورحمة مامتك ما تزعل، اتفقنا؟

بتأفف:

- قولي واشجيني بقى.

- شايفاك زعلان أهو بس هافوت الزعلة دي وأقولك، قولتلك في آخر مرّة كنّا بنتكلم أنا حسّيت إن عينك علي واحدة ست ومن كلامك إنك بتقعد في جروبي يبقى فهمت إن مكان مقابلاتك معاها وإن ليها علاقة بشركة "مُهجة مصر" خاصة إن فيه إعلانات مدفوعة في الجرايد بتقول إنها شركة واعدة، والمبالغات اللي بالك منها دي، المهم نزلت يوم روحت جروبي وسألت عن مدام مُهجة بتيجى الساعه كام، الجرسون قالي الساعه ٧ مساءً، رتبت يوم تكون وراك مواعيد تانية وروحت قابلتها، جبت لها من الآخر إني مراتك، وأنك مطلع عين اللي خلفوني من ساعة ما اتجوزتك وحارمني أنا وعيالي من اللي بتحبه و ... و .... و..... و طبعًا عارفة إيه اللي يقرف الست من الراجل لزقته كله فيك،

اتعاطفت معايا، وقالتلي إنك عارض عليها الجواز وبتلح عليها فيه، و وعدتني إنها هاتروق عليك وتديك درس مش هتنساه في حياتك، لأنك كنت طمعان فيها دا غير إنك مفهمها إنك مليونير كبير وتقيل .

قامت نجوان بإحضار الماء المثلج وبعض العصائر وأردفت تكمل:

- قالتلي بتعاطف معايا ومعى خيبتي إن فلوسك ماتلزمهاش عندها اللي يكفيها، واتجننت لما عرفت إن إحنا ساكنين في عين شمس، مش في مصر الجديدة زي ما ضحكت عليها وقولتلها.

اهتز فتحي وبدأ يربط الأحداث المتتالية، بعد هذا اللقاء ليكمل هو ما حدث قائلاً:

- فعلاً لقيتها اتغيرت ١٨٠ درجة و قالتلي إنها موافقة على الجواز بس ليها شروط، أولها تشوفك وتشوف الشقة اللي إحنا ساكنين فيها، وإنها مستعدة للجواز في أوضة في الشقة اللي في مصر الجديدة، و إنها كفيلة بإقناعك إنها تكون زوجة تانية وأسيب الموضوع ده عليها، وقتها فرحت، لكن دماغي لفت بخصوص الشقة، لفيت علي السماسرة لغاية ما عجبتني الشقة اللي إحنا فيها دي، بسرعة كتبت العقد، وبسرعة وضبتها ونقلتك فيها، ده

كلّفني كتير، بس قلت جوازي من مُهجة هايعوض ده كله ويزيد.

نجوان تنظر إليه غير مبالية بما قاله وتقول بعد تنهيدة:

- كل دي يا توح عارفاه أول بأول، التليفونات كانت شغالة بيني وبين مُهجة، الكارثة الكبيرة يا حبيبي إن ابنك فارس كان اتورط في دين ضخم ١٥٠ ألف دولار من جمعية نصب في أوكرانيا.

رد فتحي منزعجًا على غير عادته وقال:

- يا ساتر، عرفتي منين ؟

- فهد اتصل بيا، وشرح لي الموضوع باختصار، وقال لي فارس هايدخل السجن لا محالة.

- أهو ده أخره تربيتك ودلعك للعيال يا هانم، يورط نفسه الغبي في ١٥٠ ألف دولار مرّة واحده؟ دا أنا كنت بشتغل طول السنه عشان أجيبهم .

اصطادت نجوان هذا الاعتراف لتعود وتذكّره:

- أووبا كنت بتقولي بتاخد ١٢٠٠ دولار في الشهر، فاكر يا توح يا روح قلب نجوان؟!

- هو أنا فاكر اتغديت إيه إمبارح ؟

- بالهنا والشفا لأي حاجه أكلتها يا تحتح، نرجع لموضوعنا أنا قلت لابنك فهد ما يجيبش لك سيرة خالص، وأنا هاتصرف وأكلّمه .

- الله بقى، يعني إنتي خلصتي الموضوع من فلوسك؟ أصيلة يا نوجة، طول عمرك أِم طيبة وتخاف علي عيالها، كده لو خسرت الشقة فإنتي تستحقيها بجد ومش هاندم.

نظرة شفقة منها بعد تردد أن تكمل له الموضوع فقالت:

- إيه رأيك تيجي ننزل ناكل أكلة سمك حلوة من مطعم كاستن اللي فتح فرع في مدينة نصر؟ ولما ترجع نكمّل حكايتنا وكمان نخلصها إن قدرنا الليلة دي.

رد فتحي متهللاً :

- ياه علي حلاوة تفكيرك، طول عمري بحب دماغك، ممكن تسلفيهالي أسبوع، وأرجعها لك تاني؟.

- دلوقتي عجباك دماغي ؟ عجبي !!!!

# (٩)

فهد بداخله رعب لا ينتهي من أن يكون السجن هو المستقر لشقيق الروح فارس، على جريمة لا تتعدى توصيفها إلا أنها طيش شباب من وجهة نظره، وأسس للجريمة أب أناني، ألقى بولديه في براثن غربة لتفتك بشاب مراهق لا يعي ماذا فعل، إلا أنه تصرف بسلوك القروي الساذج الذي بهرته أضواء المدينة، أكثر الأماكن صارخة الإضاءة في المدن الكبرى دومًا تكون هي أماكن اللهو والعربدة كي تلفت الأنظار إليها، وبعد دخولها يغرق من لا يعرف كيف تدار، هذا ما حدث لشقيقه فارس وعليه التفكير والتدبير في كل المسالك التي قد تنقذ شقيق الروح و القلب.

ما اكتفى فهد بإبلاغ الأم التي ظلت تبكي طوال وقت مكالمته معها وأخذت تتواصل مع التوأمين دون توقف ،

وأقسمت ألا تعيش لحظة إذا حدث مكروه لحبيب القلب "فارس"، وعندها اليقين أن الله هو السند والمدبر للخروج من تلك المصيبة التي ما خطرت على بالها ولا بال أحد ولن يغفو لها جفن حتى تنقذ ولدها مهما كان الثمن.

كان تحرك فهد في كل الاتجاهات الممكنة دون علم شقيقه، فكفاه ما يشعر به من رعب عندما يتخيل ما سوف يُواجهه من عذاب داخل السجن، ومن فيه من مساجين لن يرحموا ضعفه ولا صغر عمره ولا غربته.

اهتدى فهد إلى أنه يوجد في "كييف" إدارة دينية لمسلمي أوكرانيا تقوم برعاية شئون المسلمين على اختلاف قومياتهم، فهي الممثل الرسمي الوحيد للمسلمين في جمهورية أوكرانيا التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق، ذهب إلى مقر الإدارة لمرّات عديدة، وبعد محاولات مضنية، وعلى نياتكم ترزقون استطاع بصعوبة بالغة أن يلتقى بالشيخ "أحمد تميم" مفتي أوكرانيا، وحكى له ما حدث لشقيقه بصدق، معترفًا أن أخيه كان على خطأ ويستحق عليه العقاب، لكن أن يكون نجاته بتجنيده للقيام بأعمال إرهابية داخل دول عربية وإسلامية ذلك أمر رهيب.

بعدما أستمع فضيلة المفتي الشيخ تميم قال للشاب فهد:

- الحقيقة يا ولدي ما جئتني إليه هو محل تقدير عندي، والحق أنا لست مستغربًا، فأنت من مصر بلد الأزهر الشريف الذي يعلم الدنيا ديننا الإسلامي الحنيف الوسطي المعتدل، كم من المرّات تشرفت بزيارة الشيخ الجليل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وشيخنا الجليل "جاد الحق"، دعني أقول لك أمرين.

رد فهد في سعادة تامة وراحة:

- تفضل حضرتك.

- الأمر الأول أن تأتي وأخيك وكل من تعرفهم إلي إدارة الشئون الدينية هنا، ولو مرّة في الأسبوع، وما خاب من استشار في أمور حياتكم ومن مبدأ "إنما المؤمنون إخوة"، ثانيهما أن ما قلته لي لا تحكيه مع أحد بعدي، ولا ما دار بيننا ولا حتى هذا الماء ، وبعون من الله وتوفيقه سوف أقوم بما يجب، النصيحة لك الأن أن تترك أخاك يتصرف بشكل طبيعي، ويذهب إلي مقر الجمعية في الميعاد المقرر فور انتهاء مهلة الشهر، والله المستعان.. أشكرك يا فهد في رعاية الله وأمنه.

- السلام عليكم سيدي فضيلة المُفتي، أتعشم في حضرتك الخير بحل أزمة أخويا فارس.

على الجانب الآخر الأم نجوان والدة للشاب المتهور الجاهل بدهاليز الحياة وأطوارها، لم يغمض لها جفن طرقت كل الأبواب الممكنة في هدوء بمفردها، دون مشاركة الأب الغارق حينها في بحر الغرام وآماله المعلقة بسيدة الأعمال "مُهجة" والزواج منها مما سيجعله مستمرًا في حياة الترف والشهرة التي كان يسعى إليها منذ صباه أيام الفقر في بيت أسرته.

اتصلت نجوان بالسيدة مُهجة وهي منهارة تبكي وتحكي لها ما حدث لابنها فارس في أوكرانيا، ردت عليها: أنا لا أفهم شيئًا، تعالي نلتقي و كل مشكلة لها حل ما دامت مالاً، أسرعت نجوان لتلتقي بها في مركب علي النيل و بدأت تحكي لها:

- والله يا مُهجة أي ضمانات عايزاها تحت أمرك، ابني بعد أيام هايدخل السجن، ويمكن أموت وماشفهوش تاني، وحياة أغلى حاجة عندك ساعديني، وأنا السداد برقبتي، أنا معايا فلوس لكن كلها متجمدة في أصول صعب إني أنا أتخلص منها والوقت بيجري، أنا ما بنمش من ساعة ما عرفت.

دموعها كانت تسيل بلا توقف.

- إهدي بس يا نجوان والله حاسة بيكي، أنا أم ومقدّرة مشاعرك، بس أنا هاتصرف ماتقلقيش واطمني، طب ينفع تقولي لفتحي؟

- استحالة ده كل ساعة يقولي إنه مامعهوش فلوس، خاصة بعد ما اشترى شقة مصر الجديدة و وضبها، تخيلي ماقليش لغاية دلوقتي اشتراها ليه!! وطبعًا فاكر إن أنا ما اعرفش أي حاجة وسيباه على عماه، يا ريته كان إنسان يحس لو كلمته عن ابنه وأزمته كنت ارتحت من العذاب اللي أنا فيه ده، يا حبيبي يا ابني هو انت قد السجن يا فارس؟

وتستمر في نحيب مع بكاء مُر.

- اجمدي بقى، خليني أفكر يا نجوان، بس فيه حل واحد مافيش غيره، الحل ده عند فتحي، ولازم يتحمله لوحده، قومي إنتي روحي بيتك قبل ما يرجع، لإنه بيتصل عليّا، وأنا خلال أيام هاجيبلك الحل إن شاء الله.

- والنبي يا مُهجة وحياة ابنك كل جُهدك معايا، مش هانسى جميلك ده، وهاتشوفي أخت جدعة تحفظ الجميل، سلام هانتظر تليفونك.

مضت الأيام مسرعة وتلك حالها عند الأزمات، تمر ولا تبالي كما القطار فائق السرعة، لا يبالي بمن يركب ومن يقف في طريقه، تعاطف مِهجة مع نجوان كامرأة مثلها

خاصة وقد فهمت نفسية فتحي، فالسهل عنده أن يبيع أي إنسان يقف بجانبه ويرميه في سبيل تحقيق مآربه، وقد لمست في نجوان صدقها ونقاءها وطيب النوايا فيها، لذا قررت التضحية بهذا الرجل مستغلة وقوعه في حبها كما يدعي و أقنعته في لحظة صفاء، أن أمامها صفقة تجارية خاصة ومربحة جدًا، المكسب فيها يزيد عن الضعف و لا تريد أحد يطلع عليها غيره، ولا يشاركها هذا الربح الضخم سواه، قيمة هذه الصفقة ٣٠٠ ألف دولار، وهي لا تملك سوى نصف المبلغ فقط، هذه الصفقة بعد إتمامها ستصبح زوجته بمجرد الإنتهاء من إبرامها، وهي لا تريد منه أي شيء من متطلبات الزواج، اللهم بعد الانتهاء من الصفقة يأتي لها بهدية الزواج من أرباحه.

سال لعاب فتحي، و وعد ثم نفذ، وكذلك مُهجة الإنسانة وعدت نجوان ونفذت وعدها، بمنحها المبلغ المطلوب لابنها فارس حتى تنتهي أزمته في غربته وأفضت إليها سرًا أنها ليست مصرية، وتحمل جنسية أوربية ، وقد جمعت مبالغ جيدة من المستثمرين الطماعين في الربح السريع والخيالي، وما عليها إلا الرحيل عن مصر إلى دولة أوروبية تعيش حياتها مع ولدها الوحيد، وعملت كل الترتيبات لذلك، وقالت لنجوان، بعد إعطاءها المبلغ:

- شوفي نجوان حبيبتي المصريين طيبين قوي، لكن إذا تملك الهوي منهم يتصرفون دون عقولهم، هذا يجعلهم فريسة سهلة وهذا ما فعلته معهم جميعًا، لعلمك فتحي جوزك ده أقلهم وأضعفهم، أنا اتعاملت مع رجالة في مراكز كبيرة قوي، بس هاسترهم، وماسكة عليهم حاجات مايقدروش يعملوا معايا حاجة حتى لو قعدت في مصر، بس أنا عشان وجع الدماغ هاسيبلهم مصر وأسافر.

نجوان أخذت تقبلها من كل مكان، و ودت أن تقبل قدميها وأخذت تبكي وتقول:

- حبيبتي مُهجة قد إيه إنتي إنسانة معايا، وحسيتي بيّا، بس لما تتسهل معايا أرد لك فلوسك؟ وأقولك كمان كتر خيرك ومش هانسي جمايلك عليّا.

ردت مُهجة بتواضع الفارس:

- حبيبتي أنا ماليش في الفلوس دي ولا دولار، دي فلوس فتحي جوزك وأبو ولادك، عشان كده حلال عليكم، وبصراحة دي الحسنة الوحيدة اللي عملتها في مصر، هيئ هيئ هئو.، يللا بقى اكسبي وقت وتعالي نروح البنك هناك في معارف ليا، هايسهلوا لك التحويل لابنك نمر.

- فهد يا مُهجة فهد ها ها

- فهد نمر أهو كلهم وحوش يا حبيبتي، يلا بينا يا أم فهد بلان هههههه.

أتى موعد لقاء فارس مع إلياس في مقر جمعية رعاية الشباب العربي، وصلت رسالة مجهولة المصدر على هاتف فهد تبلغه بالعربية أن يوصي فارس ألا يعطي المال لإلياس ألا بعد عشرة دقائق من بدء اللقاء، وعليه أن يشغله في حوار فيه رجاء أن يمهله فترة أخرى حتى يكمل له المبلغ، ونفذ فهد ما في الرسالة، وأخذ نصف المبلغ في حوزته، استقبل إلياس فارس بابتسامة عريضه عندما وجد في يده حقيبة توضح أن فيها مال أتى يسلمه له وقال :

- مرحبا مرحبا أبو الفوارس، ديما أقول إن المصريين رجال، عنديها مبادئ حلوة كتير والله، أنا كديش محترمك منشان قريت في عيونك رفض العرض بتاع الجماعة إياهم و وصفت شغلاتهم إنها إرهاب، سامحني حبيبي أنا مجرد شغيل هون، نصيبي مصاري قليلة كتير ما تكفي مصاريفي، إنما أصحاب الجمعية حيتان يبلعوا البشر في كروشهم، ها ها ها.

- مفهوم مستر إلياس، بس كنت محتاج مساعدتك في فترة بسيطة كمان أجهز باقي المبلغ، بابا هايبيع شركة من بتوعه عشان يبعت لي باقي الفلوس.

- على مده بابا غني كتيير فارس.

- آه عنده مشاريع في مصر وعنده كمان مركز طبي باسم "مركز إف الاستثماري الطبي"

- أووووه فارس، يا ريت تعرفني عليه فروس صديقي، هانعمل بيزنس حلو كتير معاه، بس الحقيقة هاحاول في إن أجيب فترة سماح أسبوع كمان، ويَا ريت يوافقوا، إنت معاك كام ؟

اقتحم المكتب حوالي ثلاثين من رجال الشرطة الأشداء، وتم القبض على إلياس الذي كاد أن يغمى عليه، ويصرخ قائلاً بالأوكرانية: ما الخبر؟ ما الخبر؟ ماذا تريدون مني، سوف أبلغ وزير الدفاع، وأيضّا تم القبض علي فارس بشكل لطيف وهادئ.

بركاتك فضيلة المفتى ومكانتك وقيمتك فأنت أعلى سلطة دينية مسلمة في مجتمع غربي، فيه الدين الإسلامي ثالث الأديان من حيث المركز وقوة معتنقيه بعد الكاثوليك والأرثوذكس الشرقية المسيحية، كنت فضيلة المفتي علي قدر واجبك وغيرتك على شاب ينتمي إلى دين أنت المفتي

فيه، كان تحركك لأعلى سلطة في جمهورية أوكرانيا له أثر قوي في إنقاذ شاب جاهل بألاعيب منظمات لها من الخطط والتدابير في كيفية وقوع فريستها، بطعم سهل هو المال وإغراءات أخرى، سخرك رب العزة كجند من جنود الله لاستجابة دعوات أم مكسورة تجبر خاطرها و تُنجي ولد لها غِر و فسل في حياة صاخبة لا يقوى علي مجابهتها دون مرشد أو دليل وراعي.

تم اعتقال إلياس الخطير وجاري البحث عن إيلينا فهي أداة من أدواته القذرة، وتم الإفراج عن فارس بعد دفع ١٥ألف دولار فقط اعترف بأنها قيمة الدين عليه لصالح الجمعية المزعومة التي تم إغلاق مقرها ووقف نشاطها، وكانت أجهزة الإعلام في كييف قد قامت بالواجب في النشر والفضيحة المطلوبة.

نجوان أخذت على عاتقها إنهاء اللعبة التي بدأت بينها وبين زوجها فتحي، فمن ضمن دوافعها القوية ضميرها الذي كان يوخزها أحيانًا، إنه لا يعرف تلك التفاصيل خاصة الجانب المالي منها، كم من المرّات تملكتها الحيرة هل ما فعلته حق أم باطل ؟ أم هو الحق مغلف بالباطل ؟ أو العكس، تلك المشاعر كانت أحيانًا تزعجها، و كتمانها يجعل عذاب الذات يعتريها، ولا تعرف كيفية التخلص منه.

كانت نجوان في هذا اللقاء حنونة إلي أقصي حد مع فتحي، وكريمة أيضًا في إقامة حفل مصغّر في إحدي الفنادق ذات الخمسة نجوم، في وقت يتزامن مع عيد زواجهما الخامس والعشرين، لم يهتم فتحي كثيرًا بهذا الاحتفال، بل بدأ يدور في رأسه بعض الاستفسارات حول قصته المأساوية مع سيدة الأعمال مُهجة فبدأ الحديث ببعض أسئلة:

- نجوان هاسألك كام سؤال ينهي الموضوع اللي بدأناه، ممكن؟

كانت نجوان قد استعدت حيث توقعت بالفعل ما يرمي إليه وقالت:

- رغم إن مش وقته يا توح، بس عيوني ليك، اتفضل.

- هي مُهجة بلغتك بطلبي الجواز منها وبالفلوس اللي طلبتها مني قبل ما تهرب من مصر؟

- أيوه.

- يعني كنتي عارفة إنها أخدت مني آخر مرّة ١٥٠ألف دولار؟

- أيوه.

- طب كنتي عارفة إنها هاتنصب عليّا؟

- لا بس قالتلي بعد ما عطتني فلوسك.

- يعني الفلوس أخدتيها منها ومعاكي؟

- أخدتها آه، معايا لا، بعتها لابنك فهد في أوكرانيا يخلّص أخوه فارس قبل ما يتسجن .

- فهد دفعها كلها وخلّص أخوه؟

- لا مش كلها دفع منها ١٥ألف دولار بس، ربنا وقف له أولاد الحلال اللي ساعدوه مع الشرطة، و وفر ١٣٥ ألف دولار يبقوا معاه هو وأخواته فارس وفريد اللي راح لهم يصرفوا منهم لغاية ما يخلصوا دراستهم ويبقوا دكاترة ويحققوا لك أمنيتك.

- على كده هما بيتواصلوا معاكي، قالوا لك هايجوا إمتي مصر؟ مافيش حد جه منهم السنة اللي فاتت .

- خلاص مش هاينزلوا مصر تاني، قالوا هانيجي مصر لمين؟ مالناش حد فيها.

- يعني على كده الفلوس راحت؟، كل حاجة شقيت عليها راحت.

بهدوء وشماتة:

- أيوه يا حبيبي فلوسك حلال نفعت ولادك.

انتابته ضحكة عالية صاخبة.. أخذ يهقهق وقد نسى أن حوله أناس ينظرون إليه.. ضحكات مستمرة دون توقف.. أخذ جسده يهتز بعنف لدرجة سماع دقات قلبه الهائج بعنف.. تزداد نوبة الضحكات الهستيرية لدرجة الصراخ.. أعقبتها نوبة من السعال الشديد، وقد أمسك صدره صارخًا.. سرعان ما توقفت هزات جسده، وجحظت عيناه لأعلي .. و هدأ تمامًا.. أسرع الحضور إليه لفحصه .. تبين أن روحه قد فاضت إلى بارئها.. وقفت نجوان عاجزة عن التصرف، لا تدري ماذا تفعل، بل غير مصدقة لما حدث ولم تتوقع أبدا أن تكون لعبتها هذه نهايتها.. الدموع في عينيها الشاردة تنساب، ثم جلست بجواره لتضع رأسه فوق حجرها تمسح عليها وتتمتم لا أحد يسمعها سوى رب الموت والحياة.

تمت

لله الحمد والمنة

حسن خلف حسين

# السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم : حسن خلف حسين
أديب و روائي
مواليد بورسعيد
المؤهل : بكالوريوس تجارة (محاسبة) عام ٨٠
عضو الاتحاد الدولي للشعراء والأدباء العرب
يميل لكتابة الأدب الاجتماعي والأدب الساخر
hassan.khalf@gmail.com

صدر له :
رواية " زبدة و جبنة وعجوة "
رواية " أحمق ملك روحي"
رواية " روح و ريح الجنوب"
رواية " ثرثرة أنجبت بعثرة "
تحت الطبع :
رواية " فردة بيادة معطرة بالدم "